الفيل الأفريقى ودوره فى الحروب القديمة

للدكتور فوزى مكاوى

African battle elephant
and its role in warfare in ancient times

By

Dr. FAWZI MIKAWY

(an Abstract)

The Mediterranean world knew the battle elephant for the first time in 326 B.C. when Alexander the Great invaded India. In a short time most of the armies of the ancient world used the battle elephant.

Since the normal sources of the Indian battle elephants were far and in unfriendly hands, several African countries exploited their own sources to get elephants. These are the following countries.

1. Egypt started about 280 B.C. during the reign of Philadelphos and ceased after the battle of Raphia in 217 B.C. she got the elephants from Meroe and the Red sea Coast.

2. Meroe : The archaeslogical evidence assures that she trained and used the African battle elephants during the 3id century B.C.

3. Carthage was the great value of the elephant at war, So She used large members of battle elephants in her armies during the period from 260 to 202 B.C. The Victorious Rome deprived Carthage of all her elephants and prevented her to train or to use any new battle elephant.

4. Numidia and Mauritania knew the battle elephant via Carthage. It formed an important equipment in their armies till their fall in the Ist century A.D.

5. Aksum used the battle elephant in more than one battle in the 6th century A.D. This information was mentioned in both the Byzantine and Arab writers.

اشترك الفيل فى الحروب منذ زمن بعيد فى الهند وغيرها من حضارات الشرق الأقصى ولكن لم تعرفه حضارات حوض البحر المتوسط قبل عصر الاسكندر الأكبر ، فقد التقى هذا القائد وجنوده بالفيل فى جيوش الهنود أثناء اندفاعه فى البنجاب عام ٣٢٦ ق.م (١) . ولعل هذا السلاح الجديد بامكانياته الهائلة كان أحد أسباب تمرد جنود الاسكندر مما أدى به للعودة إلى بابل . ويبدو أن دور الفيل فى الحرب كان دوراً موثراً إلى درجة حرص معها خلفاء الاسكندر على استخدام هذا السلاح الجديد فى جيوشهم(٢). فضم سليوكس الأكبر (seleucus Nikator) عدداً من الأفيال الهندية المدربة إلى جيشه ، ووصل به الأمر إلى التنازل عن أقاليم شاسعة شملت النصف الجنوبى من أفغانستان وبلوخستان(٣) للملك الهندى بوروس (Porus) فى مقابل امداده بخمس مئات من الأفيال(٤) .

كان حصول سليوكس على هذا العدد الكبير من الأفيال إيذانا ببداية عهد جديد شكل فيه الفيل السلاح البتار فى أيدى الدول الهللينستية ، كما كان إيذاناً بدخول الفيل الافريقى إلى ميدان المعارك .

استخدم الفيل الأفريقى فى القتال منذ أوائل القرن الثالث ق.م وبقى مستخدماً حتى القرن السادس الميلادى . وكانت مصر أول البلاد التى استخدمت الفيل الأفريقى لهذا الغرض خلال عصر البطالمة وشاركتها مروى فى ذلك(٥) ، ثم انتشر نطاق استخدامه غرباً فعرفته قرطاج بعد مصر بسنوات وظل سلاحاً هاماً فى جيشها حتى عام ٢٠٢ ق.م عندما أجبرتها روما على التخلى عن استخدام هذا السلاح فى جيشها(٦) ولكن استخدام الفيل الأفريقى فى الحرب انتقل ضمن العناصر الحضارية الأخرى من قرطاج إلى الدول الوطنية التى قامت فى شمال أفريقيا فى نوميديا وموريتانيا وظل الفيل يستخدم كسلاح فى جيوش هذه الدول إلى أن سقطت فى أيدى الرومان خلال القرن الأول الميلادى .

استخدمت الفيل فى القتال منطقة ثالثة فى أفريقيا هى مملكة أكسوم التى قامت فى شمال شرق أثيوبيا(٧) ، ورغم أن هناك احتمالا بأن هذه المملكة قد تعلمت استخدام الفيل فى القتال من البطالمة أو من المرويين ، إلا أن الإشارات التى وردت فى المصادر عن أفيال القتال الأكسومية تعود إلى القرن السادس الميلادى . وقد

امتد أثر استخدام الفيل الأفريقى فى القتال إلى جنوب الجزيرة العربية عن طريق أكسوم .

وفى الصفحات التالية أقدم دراسة عن القيمة الحربية لفيل القتال الأفريقى من واقع نتائج المعارك التى اشترك فيها . ثم أتبعها بدراسة أكثر تفصيلا عن تطور دور الفيل الأفريقى فى جيوش كل دولة من الدول التى استخدمته .

— ١ —
القيمة الحربية للفيل الأفريقى

فشل الفيل الأفريقى فى أول مواجهة له مع الفيل الهندى فى معركة رفح ٢١٧ ق.م. (٨) وقد ذكر بوليبيوس Polybius (٩) الذى قدم وصفاً للمعركة أن الأفيال الأفريقية هربت من الميدان بعد أن خافت الأفيال الهندية الأكبر حجماً والأكثر ارتفاعاً(١٠) . وقع المؤرخون فى حيرة شديدة بسبب عبارة بوليبيوس الأخيرة إذ أن معلوماتهم عن الفيل الأفريقى فى المناطق المدارية أنه أكثر ارتفاعاً عن الفيل الهندى ؟ وقد دفعت هذه الحقيقة كثيراً من المؤرخين إلى تكذيب بوليبيوس وفضلوا أن يبحثوا عن أسباب أخرى للهزيمة غير صغر الحجم(١١) . ولكن أحد الباحثين الانجليز ويدعى السير وليام جوورز Sir William Gowers نشر بحثاً كشف فيه عن حقيقة وجود سلالتين من الأفيال الأفريقية إحداهما ضخمة الحجم عالية الارتفاع بالنسبة للافيال الهندية وتعرف باسم Loxodonta africana وتعيش هذه السلالة فى المناطق الشجرية شمال وجنوب خط الاستواء ، أما النوع الآخر فهو أقل حجماً من الأفيال الهندية واسمه العلمى Loxodonta Cyclotis وهو يعيش فى الغابة كثيفة الأشجار . ومع ذلك فان تحديد مناطق الإقامة ليس دقيقاً فيمكن العثور على أفيال من السلالة الثانية تعيش فى المناطق الشجرية وهى مناطق إقامة السلالة الأولى (١٢) والطريف أن محاولات الإنسان لترويض فيل المناطق الشجرية كبير الحجم أسفرت عن فشل ذريع إذ لم يستجب هذا الفيل لمحاولات الإنسان فى هذا المجال بينما استجاب النوع الآخر لجهود ترويضه .

والمرجح أن فيل الغابة الأفريقية الأقل حجماً كان أكثر انتشاراً فى مناطق

دراستنا خلال فترة الدراسة (١٣) وهو الأمر الذى يتفق مع ما ذكره بوليبيوس ولعله هو الذى كون فصائل الأفيال الحربية فى جيوش الأمم التى ندرسها .

وقد احتاجت الشعوب التى استخدمت الأفيال فى القتال إلى خبرة طويلة لاصطياد الأفيال ، ومع ذلك فان صيد الفيل كان مجرد بداية لمرحلة طويلة يتم خلالها ترويض الفيل وتدريبه على إطاعة الأوامر . وكل فيل يحتاج إلى مدرب خاص يدربه ويتلقى منه الأوامر وبمرور الزمن يطمئن إليه(١٤) . ولكن المشكلة أن الفيل لا يطمئن لأحد غير مدربه فاذا مات هذا المدرب فقد تنتهى خدمة الفيل فى الجيش إذ أنه يرفض أية قيادة جديدة وربما أصبح خطراً على جيشه(١٥) . وأهمية وجود المدرب فى أنه يعرف كل شئ عن حياة الفيل ويعايشه فمثلا يعلم أن من أخطر الأمور الاقتراب من الفيل الذكر أثناء فترة التزاوج حيث يتبدل حاله ويصبح غير قابل لتلقى أية أوامر كما يصبح خطراً على كل من يقترب منه(١٦) . ولنا أن نتصور حدوث مثل هذه الظروف أثناء المعركة أو فى عضون الاستعدادات لها(١٧)والمدرب يقوم علىتنظيف جلد الفيلويهيئ له الاستحمام مرة أو اثنتينيومياً كما يقدم له الطعام فى مواعيده ، والفيل يحتاج إلى حوالى ٦٠٠ رطلا من الحشائش الخضراء لطعامه يومياً وقد قدرها ثمبسون الدارس الانجليزى بما يقرب من حشائش ميلين مربعين فى اليوم الواحد ، ومن الضرورى أن يرعى الفيل بنفسه لمدة ثمانية ساعات يومياً على الأقل حتى يبقى فى صحة جيدة وذلك لأن الفيل فى حياته البرية يقوم بالرعى لمدة ثمانية عشر ساعة كل أربع وعشرين ساعة . ويرى هذا الباحث أن الفيل يحتاج إلى جهد اثنين من العمال وبغلتين طول اليوم لجمع الأعشاب اللازمة لإطعامه(١٨) . وهكذا يمكن أن نقول أن جيشاً يضم مائتى فيل يحتاج إلى مصاحبة مجموعة من أربعمائة رجل للإطعام يستخدمون مثل عددهم من البغال فاذا أضفنا إلى احتياجات الفيل من الغذاء احتياجاته من المياه وقد قدرها هذا الدارس بثمانية وأربعين جالوناً من الماء لكل فيل وهذا يعنى أن مائتى فيل تحتاج إلى ما يقرب من عشرة آلاف جالون من الماء يومياً وبالطبع هذا يستدعى تدبير المزيد من حيوانات الحمل والحمالين . وإذا كان إمداد الأفيال بالطعام والشراب مشكلة فى فترات الإستقرار فما بال الأمر أثناء التحرك إلى ميدان معركة ما(١٩) .

يتضح مما سبق أن الفيل حيوان غالى التكاليف يحتاج إلى عناية خاصة ولابد أن قيمته فى الجيش كانت تساوى كل هذه النفقات والمتاعب ، ولعل مما يؤكد ذلك حرص القرطاجيين على استخدام الفيل وباعداد متزايدة فى جيشهم لمدة طويلة وكذلك إصرار الرومان على حرمان القرطاجيين من صيد وترويض وتدريب أو امتلاك أية أفيال بعد هزيمتهم فى زاما عام ٢٠٢ ق.م(٢٠)

ظل الفيل طوال الفترة التى استخدم فيها فى الجيوش محور صراع بين إرادتين — إرادة أصحابه الذين كانوا يريدون استغلال قوته إلى أقصى الحدود بما يحقق لهم التفوق والنصر وإرادة أعدائهم الذين كانوا يحاولون أن يستغلوا نقاط الضعف فى الفيل لكى يصلوا إلى مأربهم بالقضاء عليه فإن عز عليهم ذلك حاولوا تجنب أذاه على أقل تقدير .

أما أصحاب الفيل فقد إعتادوا وضع الأفيال فى مقدمة الجيوش لكى تبث الذعر والفوضى فى صفوف الأعداء خاصة المشاة الذين كانوا يولون الأدبار أو يواجهون الموت تحت أقدام هذه الحيوانات الضخمة ، وكانت أسلحة الجيش الأخرى تأخذ مكانها خلف الأفيال فإن استطاعت استغلال نتائج المفاجأة التى حققتها الأفيال كان النصر حليفها ، أما إذا فشلت فى ذلك ضاع أثر ما حققته الأفيال من نتائج(٢١) ، وقد حاول قادة هذه الجيوش من وقت لآخر أن يجدوا إمكانيات جديدة فى الأفيال ، فاستخدمها هملكار برقة Hamilcar Barca (٢٢) فى خداع أعدائه فى معركة نهر مجردة Bagradas ضد الجنود المتمردين سنة ٢٤٠ ق.م عندما أمر فرقة الأفيال بالتقدم ثم بالتظاهر بالانسحاب أمام الأعداء مما أغرى هؤلاء الأعداء بالاندفاع وراء الأفيال المتظاهرة بالهرب وتمت مهاجمة العدو المتقدم بغتة بفرق المشاة ثقيلة العدة كانت مختبئة عن عيونهم(٢٣) . كما استطاع هانيبال أن ينظم هجوماً ليلياً بالأفيال على معسكر الرومان فى كاپوا مما أدى إلى نجاح وقتى لخطته(٢٤) .

أما أعداء الجيوش التى تستخدم الأفيال فقد اعتمدوا فى مواجهتهم للأفيال إلى محاولة التعرف على نقاط الضعف فيها واستغلالها — كما سبق أن ذكرت — ولكن استغرق هذا الأمر زمناً ظلت فيه الأفيال شيئاً مرعباً ويكفى ظهورها لكى تنتاب

جيوش الأعداء حالة من الفوضى الجماعية . لقد واجه الرومان(٢٥) هذه الأفيال في البداية بصفوف متراصة من الجنود المشاه وكان تصور جولوس عندما قرر ذلك أن هذه الصفوف يمكنها أن تكون حاجزاً أمام تقدم الأفيال ، ولكن النتيجة كانت كارثة على الجيش الروماني إذ تحول الجنود بعد لحظات من مواجهتهم للأفيال إلى واحد من اثنين إما جثة مشوهة تحت أقدام فيل وإما هارب لا يلوى على شئ(٢٦) وقد وقع الرومان في نفس الخطأ مرة أخرى في معركة ترابيا Trabia سنة ٢١٧ ق.م(٢٧).

ولذلك بدأ الرومان يجربون الوسائل المختلفة لمقاومة هذا السلاح الرهيب، وكان نجاحهم الأول عندما اكتشفوا أن الأفيال تفزع من النار ، فعندما هاجمتهم أفيال هانيبال في كابوا ساد الفزع والاضطراب لفترة تمالكوا أنفسهم بعدها وبدأوا يقاومون الأفيال بما في أيديهم من وسائل وكان من بين هذه الوسائل المشاعل وقد اكتشفوا أن الأفيال تتأثر بشدة من النار وتحاول الهرب منها فزادوها ناراً وكانت النتيجة انسحاب أفيال هانيبال في حالة سيئة من الإعياء وشدة الإصابات .

كما نجح الرومان في اكتشاف وسيلة أخرى لمقاومة الأفيال إذ كونوا في عام ٢٠٩ ق.م صفوفاً من الجنود تطلق السهام تجاه الفيل في وقت واحد فتصيبة بأكبر عدد ممكن من الإصابات(٢٨) ، وقد طور سكيبيو الأفريقي Scipio Africanus (٢٩) هذا الأسلوب في معركة زاما فعين مساعداً لكل جندي من هؤلاء الرماة مهمته إمداده السريع بالذخيرة حتى لا يتوقف عن الضرب على الأفيال .

تعلم الرومان أيضاً أن يهاجموا الأفيال قبل أن تستريح من عناء السفر إلى مكان المعركة وكان هذا يؤثر على قوتها وكفاءتها بل ومدى استجابتها لأوامر مدربيها مثلما حدث في معركة ميتاوروس عام ٢٠٧ ق.م فقد دخل الرومان المعركة ضد جيش هسدروبال دون أن يمنحوه فرصة للراحة بعد عبوره جبال الألب واضطر القائد القرطاجي – بسبب نجاح هذا (التكتيك) – إلى أن يأمر بنفسه بقتل عدد كبير من أفياله حتى لا تصيب جيشه بالأذى .

وكانت آخر الابتكارات في ميدان مقاومة الأفيال ما لجأ إليه سكيبيو الأفريقي من فتح ممرات بين صفوف جيشه لكي تسمح للأفيال المعادية بالإستمرار في

اندفاعها أماما دون أن تقتل جنوده تحت أقدامها فقلل بذلك عدد الخسائر بين جنوده ، كما اكتشف حساسية منطقة ما تحت الذيل عند الفيل للاصابات فأوصى جنوده بالتركيز على إصابة هذه المناطق ونجحت خطته(٣٠) .

ورغم أن تقارير الرومان عن نجاحهم فى مقاومة الأفيال تشير إلى أنهم استطاعوا تقليل أهمية هذا السلاح ولكن الواضح أن فصائل الفيل الأفريقى ظلت تسبب لهم الرعب حتى أنهم اشترطوا على قرطاج فى معاهدة استسلامها عام ٢٠٢ ق.م أن تسلم ما لديها من أفيال فأرسلوا جزءاً منها إلى روما وأعطوا الباقى هدية لصديقهم مسينسا(٣١) ، كما فرضوا على قرطاج فى نفس المعاهدة ألا تحصل على فيل جديد أبداً ، وظلوا يراقبون تنفيد هذا الشرط بدقة وصرامة حتى إبادتهم لقرطاج عام ١٤٦ ق.م .

— ٢ —

الفيل الأفريقى فى جيوش مصر وسروى(٣٢)

إن الصداقة التى جمعت سليوكس وبطليموس الأول ضد المنادين بفكرة إحياء الإمبراطورية المقدونية لم تستمر طويلا ، واصطدمت بواقع أطماع كل من الرجلين فى الاستئثار بجوف سوريا ، وقد كان نجاح بطليموس الأول فى ضم هذه المنطقة بداية المواجهة بين الأسرتين مما أدى إلى معارك عسكرية دامية خلال كل جيل من أجيال الحكام تقريباً(٣٣) .

رأى بطليموس الأول أن استقراره فى مصر وتحقيقه لأهدافه فى إقامة امبراطورية بطلمية يقتضى إنشاء جيش قوى واقتصاد متين . وقد لجأ بطليموس إلى أفضل ما فى العصر من إمكانات لإنشاء جيشه فاستقدم الجنود المقدونيين واليونانيين ومنحهم الامتيازات المتعددة ، كما سعى لتأمين حاجته من الأخشاب اللازمة لبناء الأسطول ولا يعقل أنه أهمل سلاح الفيل الذى كان ميزة فى أيدى منافسيه مثل برديكاس وسليوكس ، والمشكلة التى واجهت بطليموس الأول فى تكوين فصائل أفيال الحرب كانت بلا شك عدم قدرته على الحصول على الأفيال الهندية نظراً لوقوع مصادر هذا السلاح الرهيب فى أيدى أعدائه وأصدقائهم الهنود . ولذلك اضطر

بطليموس الأول إلى الاعتماد على المتاح من الأسلحة التقليدية ، على أن هذا القصور لم يمنع بطليموس الأول من الاستيلاء على بعض الأفيال الهندية من أعدائه عقب انتصاراته عليهم ، ففى سنة ٣٢١ ق . م تعرضت مصر لهجوم برديكاس ولكن « . . . تم القضاء على هجومه بل وانتهت محاولاته التالية للتقدم عبر النيل إلى كارثة عليه . . . »(٣٤)وكان جيش برديكاس يضم عدداً من أفيال الحرب الهندية استخدمها لكسر جدة تيار المياه عند عبور النهر . ومن المؤكد أن بطليموس الأول قد استولى على بعض أفيال برديكاس عقب هزيمته له فى ميدان المعركة بل وربما حصل أيضاً على بعض الأفيال الأخرى والباقية فى صفوف جيشه بمقتضى شروط الصلح التى أملاها على العدو المنهزم(٣٥) . أضاف بطليموس الأول إلى رصيد جيشه عدداً جديداً من أفيال الحرب الهندية بعد انتصاره فى سنة ٣١٢ ق. م على جيش ديميتريوس Demetrius (٣٦) فى فلسطين وكان هذا الجيش يضم ثلاثة وأربعين فيلا(٣٧) .

ومن المحتمل أيضاً أن الاتفاقات التى أعقبت معركة ابسوس Ipsos فى عام ٣٠١ ق . م قد أدت إلى حصول بطليموس الأول على عدد آخر من الأفيال التى كانت فى جيش انتيجونس Antigonus (٣٨).

إلا أن تطوير سلاح الفيل ودعم دوره فى الجيش المصرى كان صعباً فى ظل الظروف القائمة ، فمواطن الأفيال الهندية ومناطق تدريبها بعيدة فى شرق آسيا ولا بد للوصول إليها من عبور أراضى سليوكس المعادية ، وزاد الأمر سوءاً بازدياد القطيعة السياسية بين مصر تحت حكم البطالمة وسوريا السليوكية وقد دعى هذا الوضع الجديد الملك بطليموس الثانى الذى تولى العرش فى ٢٨٤ ق . م إلى التفكير فى الحصول على هذا السلاح الرهيب من مصادر أخرى بعيدة عن سيطرة أعدائه ، ووجد ضالته فى مناطق السودان وشرق أفريقيا . ولكن مشروع بطليموس بالاستغناء عن الأفيال الهندية كان مغامرة كبيرة فبعد أن كان يحصل على الأفيال الهندية مدربة وقادرة على القتال ، أصبح عليه أن يخطط لكل شئ يتصل بهذه الأفيال ابتداء من صيدها ومروراً بترويضها وتدريبها وأخيراً رعايتها كقوة للجيش المصرى .

نجح بطليموس الثانى فى أن يستعرض فى أحد الاحتفالات التى تمت فى الاسكندرية فى الفترة من ٢٧٩—٢٧٠ ق . م أربعا وعشرين عربة تجرها الأفيال

وهذا يعنى بلا شك أنه كان يملك مالا يقل عن مثل هذا العدد من الأفيال إذا افترضنا أن كل عربة يجرها فيل واحد أما إذا زاد عدد الأفيال التى تجر العربة الواحدة فالعدد يتضاعف(٣٩) .

ويذكر المؤرخون القدماء أن بطليموس الثانى أرسل حملات استكشافية قامت بعملها على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر وأنشأت مراكز لصيد الأفيال(٤٠) وكانت هذه الأفيال تنقل إلى برنيكى Berenike (٤١) ومن هناك كانت تسير حتى وادى النيل ثم تسير بحذاء النيل حتى الاسكندرية .

ويضيف المؤرخون أن بطليموس الثانى قد نظم عملية تدريب الأفيال فى مصر وبعد ذلك كان يضمها إلى قواته(٤٢) .

ويجب أن نتوقف أمام هذه الروايات التى ترفض الاعتراف بدور الوطنيين الكوشيين (المرويين) فى تدريب هذه الأفيال كما تنسب كل عمليات الصيد لجنود بطليموس الثانى ، إذ أن هذا الرأى يحتاج لإعادة النظر فيه على ضوء الأدلة الأثرية المتاحة ففى المصورات الصفراء(٤٣) — التى لا تبعد عن نهر النيل بأكثر من مسيرة يوم واحد — تقوم العديد من المبانى المتصلة بتدريب الأفيال وهى المبانى التى يطلق عليها المجموعة المعقدة نظراً لكثرة ردهاتها وصالاتها المتداخلة(٤٤) وفى هذا الموقع الأثرى الفريد نشاهد حائطاً كاملا على شكل فيل(٤٥) نشاهد أيضاً رسماً نادراً لملك مروى راكباً فيلا وهو يلبس تاج مصر التقليدى(٤٦) ويضاف إلى ذلك المنظر الفريد الذى يؤكد أن المرويين لم يقوموا فقط بتدريب الأفيال الأفريقية ولكنهم أيضاً استخدموها فى الحروب . ويصور هذا المنظر بالرسم البارز صفاً من أفيال القتال المسرجة تقبض بخراطيمها على العديد من الأسرى(٤٧) .

إن هذه المناظر تميط اللثام عن دور الكوشيين خلال العصر المروى فى ترويض الفيل واستخدامه فى الحروب وهو الدور الذى أنكره عليهم كثيرون من الكتاب القدامى والمحدثين .

وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن بعثات بطليموس الثانى لم تقصر جهودها على الساحل بل توغلت فى الداخل إلى المملكة الكوشية المتحضرة فى عاصمتها مروى ؛

وهناك وجدت هذه البعثات التجاوب الذى ساعدها على إتمام اتفاق لتوريد الأفيال المدربة إلى بطوليميس إذ كان طريق النهر مستبعداً لفقدان الأمن فى المنطقة الممتدة من النوبة العليا إلى جزيرة فيلة . وقد تسلمت مصر هذه الأفيال المدربة لأستخدامها فى أغراض القتال ولعل مما يدعم هذا الرأى أننا لم نسمع عن مشاكل تعرض لها من قاموا بنقل الأفيال وقيادتها عبر الطريق الطويل بالبحر ثم بالبر من السودان إلى الاسكندرية ، ولو كانت هذه الأفيال غير مدربة لصعبت السيطرة عليها .

استمرت هذه المراكز فى أداء دورها خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد اهتم بطليموس الثالث يوارجتيس الأول Euergetes I (٢٤٨–٢٢١ ق . م) بتدعيم فصائل الأفيال الحربية فى جيشه واعتمد فى ذلك بصورة رئيسية على إمدادات الأفيال الأفريقية ، كما سعى أيضاً للحصول على عدد من الأفيال الهندية مستغلا انتصاره خلال الحرب السورية الثالثة (٢٤٦–٢٤١ ق . م)(٤٨) سواء من جيوش السلوكيين المهزومة أو من بلاد الهند .

بقيت مراكز صيد وتدريب الأفيال فى مصورات الصفراء وغيرها تقوم بعملها خلال عصر بطليموس الرابع (Philopater) ، وأمدت الجيش المصرى بعدد من الفيلة ساهمت فى معركة رفح فى عام ٢١٧ ق . م . ضم الجيش المصرى فى تلك المعركة ثلاثة وسبعين فيلا فى مقابل اثنين ومائة من الأفيال الهندية فى جيش انتيوخس الثالث(٤٩) ويذكر بوليبيوس :

« . . . تجرأت بعض أفيال بطليموس على الاقتراب من أفيال العدو ، وقد حارب جنود القلاع المقامة على ظهور هذه الحيوانات بصورة مجيدة ، كما حاربت الأفيال نفسها . . . ولكن معظم أفيال بطليموس ضعفت أمام الصراع ، كما هى عادة الأفيال الأفريقية . . . »(٥٠) .

وبوليبيوس هنا وإن كان يحجب الاستمرار فى الصراع عن كثرة الأفيال ، فانه يشير إلى القتال الباسل الذى أدته الأقلية ، ويضيف بوليبيوس أن انتيوخس فقد فى هذه المعركة خمسة أفيال فقط بينما فقد بطليموس كل أفياله بعد مقتل ستة عشر فيلا واستيلاء الجيش السليوكى على البقية الباقية .

ولكن هذا التقرير يبدو بعيداً عن الواقع فبالرغم من هزيمة بطليموس فى اللقاء الأول فى ربيع عام ٢١٨ ق . م إلا أن لقاء العام التالى الذى تم يوم ٢٢ يونيه ٢١٧ فى رفح قاده إلى النصر الحاسم بفضل جنوده المصريين وقد استرد بطليموس الرابع على إثر النصر كل جوف سوريا . ولا نتصور أن انتيوخس كان قادراً على أن يستولى على أفيال بطليموس فضلا عن أفياله هو نفسه فى أثناء انسحابه بعد الهزيمة .

ولا بد أن بطليموس — وليس أنتيوخس — هو الذى استولى على الأفيال الباقية على قيد الحياة ، ويرجح هذا الرأى ما عرف من أن أنتيوخس قد ذهب إلى باكتريا Bactria والهند India بعد معركة رفح بعدة سنوات لكى يحصل على امدادات جديدة من الأفيال لجيشه(٥١) .

كانت معركة رفح هذه هى آخر المعارك الكبرى التى اشترك فيها الفيل الأفريقى فى تاريخ مصر الحربى فى عصر البطالمة ، فقد عانت الحكومة كثيراً من الثورات الداخلية والنزاعات بين أمراء البيت المالك مما أدى الى ضعفها ، ثم أصبحت أملاك الأسرة البطلمية وليمة شهية على مائدة القوى الفتية المتطلعة إلى التهامها مثل أنتيوخس الثالث فى سوريا وفيليب الخامس فى مقدونيا فضلا عن الجمهورية الرومانية(٥٢) وبالطبع تدهور الاهتمام بفصائل الأفيال الحربية كنتيجة للانهيار العام الذى أصاب مرافق الدولة حتى اندثرت كعنصر مؤثر فى الجيش المصرى ولم نعد نسمع شيئاً عن هذا السلاح منذ عهد بطليموس الخامس .

أما مصير مراكز صيد وتدريب الأفيال فى مملكة كوش المروية فيبدو أنها قد عانت من التدهور الذى أصاب مصر وهى التى بنت رخاءها خلال الأجيال الماضية على ما تدفعه مصر نظير الحصول على الأفيال ، ولكننى استبعد اندثار هذه المراكز بنفس سرعة إختفاء الفيل الأفريقى من الجيش المصرى ، إذ أن هذه المراكز كانت تمد الجيش الوطنى باحتياجاته من أفيال القتال(٥٣) بالإضافة إلى ما تصدره إلى الخارج .

الفيل الأفريقى فى جيوش قرطاج ونوميديا وموريتانيا (٥٤)

تأكد اشتراك الفيل فى الجيش القرطاجى لأول مرة عام ٢٦٢ ق.م أثناء صراعها من أجل السيطرة على جزيرة صقلية ، ففى هذا العام أبحر القائد القرطاجى هانو (Hanno) إلى صقلية حيث واجه الرومان بجنوده وفرقة تضم خمسين فيلا . ويمكننا أن نعود بمعرفة قرطاج لاستخدام الفيل فى القتال إلى أبعد من هذا التاريخ بعدة سنوات استغرقتها عمليات ترويض وتدريب هذه الحيوانات(٥٥) . ومن المؤكد أن قرطاج قد عرفت استخدام الفيل فى القتال بعد عام ٣١٠ ق.م إذ أنها تعرضت فى ذلك العام لغزوة من اجاثوكليس (Agathocles) ملك سيراكوز (Syracause) ولوكان لديها فصائل من أفيال القتال لما ادخرتها لأعز من هدف الدفاع عن أراضيها ولكن جيوش قرطاج خلال ذلك الغزو كانت لا تضم أفيالا(٥٦) . وربما يدعونا هذا إلى الاعتقاد بأن الجرأة التى تميزبها أجاثوكليس بهجومه على قرطاج فى عقر دارها على الأرض الأفريقية — هى التى دفعت قادة قرطاج إلى البحث فى تطوير أساليب القتال ومعداته فى جيوشهم وربما اتجه تفكيرهم إلى استخدام الفيل بعد النتائج الممتازة التى حققها بيرهوس (Pyrrhus) باستخدامه لهذا الحيوان فى حروبه فى صقلية(٥٧) ، فضلا عن استخدام البطالمة للفيل كسلاح حرب فى جيوشهم وقد كانت قرطاج على صلة بهم أيضاً .

بدأت قرطاج فى البحث عن مصدر تحصل منه على أفيال القتال فوجدت على مقربة من أرضها معيناً لا ينضب من الأفيال الأفريقية فى أراضى النوميديين الموريتانيين ، لكن الأفيال الأفريقية غير مدربة وخبرة قرطاج معدومة فى اصطياد الأفيال وترويضها ، ولذا لجأت فى البداية إلى إستيراد أفيال ومدربيها . والمعتقد أنها حصلت على أفيالها الأولى ومدربيها من الإسكندرية التى كانت تربطها بها علاقات طيبة ، فقد كانت مصر فى حاجة إلى فضة أسبانيا لضرب عملتها ، وكانت قرطاج تسيطر على هذه التجارة فضلا عن القصدير والخيول والكبريت ، كما أن قرطاج لم تتردد فى أن تطلب من بطليموس الثانى فى مصر قرضاً قيمته الفى تالنت (talent)(٥٨) أثناء الحرب البونية الأولى(٥٩) .

حصل القرطاجيون على عدد من الأفيال الهندية ومدربيها سواء كان ذلك عن طريق مصر أو غيرها وبدأوا على الفور فى استخدام هذا السلاح الجديد فى جيشهم ، كما سعوا إلى تطويره باصطياد مزيد من الأفيال الأفريقية على أن يقوم المدربون الهنود بتدريبها ، وبالطبع استغرقت هذه المرحلة وقتاً اشترك القرطاجيون بعده بأفيالهم فى القتال ولكنهم كانوا ما يزالون يجهلون الكثير عن طباع هذا الحيوان والظروف الصالحة لاشتراكه فى القتال . وقد أدى هذا الجهل إلى وقوع أفيالهم الخمسين التى أشتركت فى معركة أجريجنتم (Agrigentum) غنيمة فى أيدى الرومان(٦٠) ، كما أدى ذلك إلى هزيمة أفيالهم فى المعركة التالية ضد روجولوس Regulus وكان هذا القائد الرومانى قد عبر إلى أفريقيا فى عام ٢٥٦ ق.م لكى يهاجم قرطاج فى عقر دارها أثناء الحرب البونية الأولى وفى عام ٢٥٥ ق.م تقدم إلى أوثنه Uthina حيث وقف بجيشه قبالة الجيش القرطاجى الذى فضل أن يبقى فى منطقة عالية بعيداً عن مرمى أسلحة المشاة الرومان ، واصطف جنوده وفرسانه وأفيال الحرب فى نفس المكان . ورغم جهل الرومان وخوفهم من مواجهة الفيل فان روجولوس وجنوده نجحوا فى تحقيق النصر فى هذه المعركة وقد ساعدهم على ذلك جهل القرطاجيين بطبيعة الأرض المناسبة لحرب الأفيال فوضعوها فى منطقة مليئة بالنتوات مما أرهق الأفيال وأدى إلى تعثرها ووقوع عدد من الخسائر بينها ومما لا شك فيه إن عدم اختيار القرطاجيين للأرض السهلية المناسبة لحرب الأفيال يدل على أنهم كانوا حديثى عهد باستخدام هذا السلاح(٦١) .

لجأ القرطاجيون بعد هذه الهزيمة إلى قائد أسبرطى يدعى اكسانثبوس xanthippos لكى يقود جيشهم ويعيد تنظيمه . وقد قام هذا القائد بوظيفته بكفاءة فعدل نظام الجيش القرطاجى إلى نظام الفيلق الاغريقى Phalanx (٦٢) ، كما استخدم الأفيال والفرسان بطريقة مؤثرة فى القتال . اختار الجيش القرطاجى ميدان القتال فى سهل مجردة Bagradas وهى أرض صالحة مفتوحة لمناورات الأفيال واصطف هذا الجيش فى حمى صف من مائة فيل ، بينما اصطف الفرسان على جناحى الجيش أما الجيش الرومانى — الذى كان ما يزال يجهل كيفية مواجهة الأفيال فقد اصطف جنوده فى الأمام ووقف خلفهم الفرسان . وكان روجولوس يرجو من هذا التنظيم

أن يقوم الجنود المتكاتفون كحائط يمنع تقدم الأفيال . ولكن سير القتال أدى إلى كارثة محققة بسبب هذا الجهل بامكانيات الفيل فى القتال . فقد تقدمت الأفيال ضخمة الحجم لكى ترعب الجنود الذين ما أن شاهدوا زملاءهم تحت أقدام هذه الأفيال حتى ولوا الأدبار وأنفرط عقد الجيش الرومانى حيث وقع جنوده فريسة للفيلق القرطاجى المستعد . ويقال أنه لم ينج من الجيش الرومانى أكثر من ألفى جندى(٦٣) ، وانتهت الحملة بكارثة محققة للرومان كما أكدت أهمية الفيل كسلاح للمستقبل فى الجيش القرطاجى(٦٤) .

المعركة التالية كانت على أرض صقلية ، ففى عام ٢٥٤ ق.م استولى الرومان على بالرمو Panormus وكانت أهم قاعدة قرطاجية فى الجزيرة ، ولذلك جهزت قرطاج فى عام ٢٥٢ ق.م جيشاً لمحاولة استعادة ما فقدته من نفوذ فى صقلية . وكان الجيش القرطاجى بقيادة هسدروبال Hasdrubal يضم مائة وثلاثين فيلا بعد أن أصبح الفيل سلاحاً رئيسياً فى الجيش القرطاجى . وفى ميدان القتال بالقرب من بالرمو اصطف الجيش القرطاجى بنظامه المعتاد تتقدمه الأفيال ، أما الرومان بقيادة ميتللوس Metellus فقد هاجموا بمشاتهم الذين فزعوا من الأفيال وأسرعوا إلى خنادقهم يحتمون بها ولم يكتف هسدروبال بهذا النجاح ولكنه أراد أن يقضى على الرومان قضاء مبرماً فأمر فصائل الأفيال بالتقدم إلى معسكرات الرومان وهناك وقعت فى شرك إذ أنها توغلت فى منطقة سهلية محاطة بالتلال كانت القوات الرومانية تسيطر عليها ، وقد تعرضت الأفيال فى هذه المنطقة إلى إصابات شديدة دون أن تستطيع منعها مما دفعها إلى النكوص على أعقابها ، وأدى هذا إلى اضطراب واسع فى صفوف الجيش القرطاجى . وقد نجح أحد جناحى الجيش الرومانى فى استغلال فرصة هذا الإضطراب فى شن هجوم ناجح على جيش هسدروبال أدى إلى تدميره وقتل ستة وعشرين فيلا كما تم الإستيلاء على أربع ومائة من الأفيال بمساعدة الأسرى القرطاجيين .

وقد نقل جزء من هذه الأفيال إلى روما وظهر فى حفل النصر الذى سار فيه ميتللوس ، ويقال أن هذه الأفيال جميعاً تم قتلها فيما بعد ، وربما تم ذلك لكى يعلموا الشعب الرومانى أن هذا السلاح رغم خطورته من الممكن القضاء عليه وقتله

باستخدام الحراب ولكى يمحوا من أذهان هذا الشعب شبح الهزيمة الرهيبة التى نالها روجولوس بسبب أفيال القتال(٦٥) .

كانت الحولة الجديدة لفصائل فيل القتال الأفريقى فى الجيش القرطاجى ضد المتمردين من الجنود السابقين فى هذا الجيش . وكان هؤلاء الجنود يطالبون بحقوق لهم تجاه قرطاج التى كانت قد خرجت مفلسة من الحرب البونية الأولى . بدأ تمرد هؤلاء الجنود فى نهاية عام ٢٤١ ق.م واستمر حتى عام ٢٣٧ ق.م (٦٦) . وقد بذلت قرطاج كثيراً من الجهود الفاشلة للقضاء على هذا التمرد . نذكر من هذه الجهود الحملة التى قادها هانو Hanno فى عام ٢٤٠ ق.م وكانت تضم المشاة والفرسان ومجموعة من أفيال القتال الأفريقية بلغ عددها مائة فيل ، ورغم أنه حقق نجاحاً مبدئياً إلا أن الثوار نجحوا فى النهاية فى طرده من أوتيكا Utica . عندئذ لجأت قرطاج إلى هملكار برقة Hamilcar Barca أحد قادتها الأفذاذ لكى يخلصها من هذا المأزق وقد بدأ هملكار مهمته ببث الرعب فى نفوس أعدائه فأمر بكل الأسرى فوضعوا أمام الأفيال ثم أمر الأفيال فداستهم بأقدامها .

وبعد ذلك سيطر على جسر استراتيجى على نهر مجردة مما دفع قائد الثوار فى أوتيكا إلى الخروج بجنوده إليه ، لجأ هملكار إلى خديعة جيش المتمردين فدفع بأفياله السبعين وبعض المشاه خفيفى التسليح فى اتجاه العدو ، ثم أمرهم بالتقهقر أمامه كما لو كانوا يهربون وفى نفس الوقت أمر مشاة الجيش ثقيلى التسليح وفرسانه أن يختبئوا فى الخلف على بعد غير كبير . انطلت الحيلة على المتمردين واندفعوا وراء الأفيال والجنود طمعاً فى القضاء عليهم ، ولكن ما أن عبرت الأفيال ومن خلفها جنود العدو منطقة اختفاء جنود هملكار حتى أطبق هؤلاء على المتمردين يثخنونهم جراحاً وتقتيلا وفى نفس الوقت أطبق الفرسان على مؤخرة جيش المتمردين وكانت النتيجة تدمير جيش المتمردين فى أوتيكا ثم قامت الأفيال بدورها فى حصار الجماعات الأخرى من الثوار والقضاء عليهم فى عام ٢٣٧ق.م(٦٧) .

اتجهت قرطاج بعد القضاء على تمرد الجنود إلى فتح أسبانيا عوضاً عما فقدته من أملاك فى صقلية وقد اشتركت الأفيال الأفريقية فى جيش هملكار برقة الذى

تقدم لملاقاة الأيبيريين . وقد نجحت أفيال هملكار العشرين المجهزة بدروع جلدية فى إحداث الفوضى بمنظرها المرعب مما أدى إلى هرب خيول الأعداء ونجاح هملكار فى إنشاء امبراطورية لقرطاج فى أسبانيا . تزايدت أعداد الأفيال العاملة فى الجيش القرطاجى فى أسبانيا فوصل عدد أفيال هملكار إلى مائة فيل كما أن هسدروبال كان يقود فى عام ٢٢٩–٢٢٨ ق.م جيشاً يضم أكثر من مائتى فيل(٦٨) .

ولكن الغريب حقاً أن قوات هانيبال Hannibal (٦٩) فى عام ٢٢٠ ق.م كانت تضم أقل من أربعين فيلا فقط ، وليس لدينا تفسير للفارق الكبير بين هذه الأرقام حتى لو سلمنا بحدوث خسائر فى الأفيال نتيجة للعمليات العسكرية خلال تلك الفترة أو بسبب عدم كفاءة المدربين ، إذ أننا نعلم أن قرطاج كان لديها منطقة ملحقة بأسوار المدينة من الداخل صالحة لترويض وتدريب وإقامة ثلاثمائة فيل وذلك فى نطاق استعدادتها للحرب البونية الثانية(٧٠) .

اشترك هانيبال بقواته فى عدة معارك ضد القبائل الوطنية الأسبانية وفى أثناء عودته منتصراً اعترضته قوة من قبائل الكاليس olcales وفاكى Vaccei وكاربيتانى Carpetani . عسكرت هذه القوة على الشاطئ الشمالى لنهر تاجوس Tagus فلجأ هو إلى الشاطئ الجنوبى ونظم أفياله وخيوله لكى يستخدمها فى مطاردة كل من تحدثه نفسه بأن يعبر إليه ، وأخيراً عبر هو إلى العدو الذى لاذ بالفرار(٧١) .

سار هانيبال شمالا حيث عبر جبال البرانس فى عام ٢١٨ ق.م وعندما وصل نهر الرون كان جيش هانيبال المتجه إلى ايطاليا يضم سبعة وثلاثين فيلا بالإضافة إلى ثلاثين ألف جندى من المشاة وثمانية آلاف فارس فضلا عن القوات المساعدة وحيوانات الحمل .

توقف هانيبال أمام عائق الرون يومين جمع خلالهما كتلا من الأخشاب وقام ببناء كثير من القوارب والأطواف ، ولكنه لاحظ فى اليوم الثالث وأثناء استعداده للعبور أعداداً كبيرة من قبائل الغال تتجمع على الشاطئ المقابل لكى تمنعه من العبور . أمر هانيبال أحد قواد جيشه بأن يقوم بحركة التفاف حول العدو ومنعه قسم من الجيش ، سار هؤلاء الجنود نحو الشمال لمسافة مائتى استاديا(٧٢) . وقد حققت

هذه الفكرة أهدافها . إذ فزع الغال وولوا هاربين بمجرد معرفتهم بنبأ العبور المباغت ومن ثم عبر القسم الرئيسى من الجيش القرطاجى نهر الرون دون مقاومة . ورغم أن الجيش القرطاجى قد أمن مقاومة الأعداء لعبوره فانه واجه مشكلة عبور الأفيال . ويقول بوليبيوس أن هانيبال تغلب على هذه المشكلة بأن أقام عدداً من المعديات على شكل أرصفة غطاها بطبقة كثيفة من التراب لكى يوحى للأفيال بأنها امتداد للأرض الصلبة ولكن ما أن تحركت هذه المعديات التى يبلغ طول الواحدة منها مائتى قدم حتى سببت انزعاجاً شديداً للأفيال ، مما دفعها إلى القفز فى الماء وترتب على ذلك غرق عدد كبير من مدربيها(٧٣) .

دخل هانيبال بجيشه إلى ممر جبلى فى جبال الألب فى طريقه إلى إيطاليا وكان معه سبعة وثلاثين فيلا . وفرضت ظروف الممر الجبلى والقبائل الوطنية المعادية على هانيبال عبوراً قياسياً ، فاضطر هانيبال أن يقاوم ظروف المناخ القاسية وأن يحارب هذه القبائل أثناء العبور . ورغم أن أفياله كانت تعانى من ظروف المناخ وقلة الطعام فضلا عن سوء خدمتها بعد غرق أغلب مدربيها فى نهر الرون ، فقد سارت فى مقدمة الجيش مرعبة القبائل المحلية واستمر هذا الوضع ثمانية أيام . وعندما أصبح صعود الجبل يمثل عائقاً أمام تقدم الأفيال المرهقة ، غير هانيبال خطته وترك الأفيال فى المؤخرة لكى تقوم بمهمة حراسة الجيش من هجمات الوطنيين . ولعل أكبر ما واجهته الأفيال من صعاب كانت الأيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من أيام العبور حيث كان هانيبال قد وصل بجيشه إلى قمة الممر الجبلى فى الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر سنة ٢١٨ ق . م وكانت الثلوج تغطى الأرض . وقد اضطرت هذه الحيوانات الاستوائية إلى السير فى الثلوج لمدة ثلاثة أيام وقد أدى هذا بالإضافة إلى قلة الطعام إلى نفوق عدد كبير من الأفيال(٧٤) . وما أن أتم هانيبال عبور جبال الألب إلا وواجه ضرورة عبور نهر البو (Po) ، وهنا أنزل هانيبال ما بقى من أفياله إلى الماء فى صف طويل ليكسر قوة التيار ولكى يمكن مشاته وحيوانات الحمل فى جيشه من أن تعبر فى سلام(٧٥) ..

بقيت أعداد قليلة من الأفيال بعد هذه الأهوال التى مرت بجيش هانيبال منذ خروجه من أسبانيا ومع ذلك فقد اشتركت الأفيال المتبقية فى معركة ترابيا Trabia

وتسببت رغم قلة عددها فى خسائر فادحة للرومان (٧٦) . لقد افتتح هانيبال القتال بهجوم الأفيال فى مقدمة الجيش القرطاجى ، وما أن رآها المشاة الرومان حتى لاذوا بالفرار وفى نفس الوقت كانت قوات الفرسان القرطاجية تطبق على القوات الهاربة من الجناحين ، وهكذا وجد الرومان أنفسهم محاصرين بالأفيال المتقدمة تجاههم يتبعها المشاة القرطاجيون والفرسان على الجانبين والنهر من خلفهم . وكانت مذبحة للرومان فمن لم تدوسه الأفيال بأقدامها قتلته سهام المشاة وأسلحة الفرسان ومن نجا من الموت على أيدى هؤلاء مات غريقاً فى النهر . إن نجاح الأفيال فى هذه المعركة يرجع إلى كفاءة هانيبال فى استخدامها حتى أنه استطاع أن يسحبها من القلب إلى الجناحين عندما لاحظ شدة تعرضها لسهام الرومان وبداية انفلات أمرها من أيدى مدربيها . إن هذه الحركة الذكية أدت إلى عودة السيطرة على الأفيال بابعادها عن منطقة الضرب الشديد فضلا عن أنها أتاحت للأفيال فرصة الانفراد بحلفاء الرومان من الغال البدائيين فى فنون التسليح(٧٧) .

تجول هانيبال فى مايو ٢١٧ ق . م بجنوده وأفياله وأفراسه فى المناطق الوسطى من شبه جزيرة إيطاليا ، فعبر جبال الإبنين إلى الشرق ثم عاد فعبرها إلى الغرب وقد قام هانيبال بجولته هذه فى ظروف جوية سيئة مما أدى إلى فقده لسبعة أفيال أثناء العبور الأول وفقد باقى الأفيال — فيما عدا فيله الخاص — خلال العبور الثانى(٧٨) وقد قاد هانيبال جيوشه خلال الهجوم على فلامينيوس Flaminius قرب بحيرة تراسيمينوس Trasimenus فى إتروريا Etruria دون أن يكون لديه سوى هذا الفيل الأخير(٧٩) .

تلقى هانيبال قبل معركة كابوا capua التى تمت فى سنة ٢١٠ ق . م مدداً جديداً من الأفيال وقد بلغ عدد أفياله التى اشتركت فى هذه المعركة اثنين وثلاثين فيلا(٨٠) . دبر هانيبال هجوماً ليلياً على معسكر الرومان مستخدماً الأفيال ، وفوجئ الجنود الرومان بهذه الحيوانات المخيفة تجول فى معسكرهم محدثة الفزع ومسببة الدمار . وتعتبر هذه الخطة تطويراً جديداً لأسلوب استخدام الفيل فى المعارك .

حققت خطة هانيبال نجاحاً مبكراً ولكن هانيبال لم يستغل هذا النجاح بدفع

عناصر أخرى من الجيش إلى المعركة ، فاستطاع الرومان أن يتمالكوا أنفسهم بعد بعض الوقت وبدأوا يقاومون الأفيال بما فى أيديهم من وسائل ومن ذلك قذف الأفيال بمشاعل اللهب من كل ناحية . ونجحت الوسيلة الجديدة فى بث الذعر بين الأفيال التى جعلتها أجسامها الكبيرة أهدافاً سهلة للنيران . ويعتبر هذا العمل الذى اتبعه الرومان تطويراً لأسلوب مقاومة الأفيال . وقد ساعد على زيادة حجم الخسائر بين أفيال هانيبال أنها دخلت منطقة مساكن الجنود الرومان مما جعلها فى أرض غير مفتوحة وبالتالى غير مواتية لحروب الأفيال . هاجت الأفيال المثخنة بالجراح مما جعلها تلقى بركابها تحت أقدامها أثناء هربها من ميدان المعركة . واضطر هانيبال بعد فشل هجومه على كابوا capua إلى التخلص من الاشتباك وأن يعبر نهر ڤولتورنو Volturno ومعه البقية الباقية من أفياله(٨١) .

وفى عام ٢٠٩ ق . م توصل الرومان إلى إضافة طريقة جديدة لمواجهة الأفيال فكونوا فرقاً للرماية تقف فى صف واحد مهمتها إطلاق السهام على الأفيال فى وقت واحد حتى يطردوها بعيداً عن أهدافها(٨٢) .

وفى ٢٠٧ ق . م تعرض هانيبال لكارثة ، إذ استطاع القنصلان الرومانيان اللذان يتابعان خطواته أن يظفرا فى معركة ميتاوروس Metaurus بأخيه هسدروبال Hasdrubal (٨٣) ، وكان قد حضر إلى ايطاليا على رأس قوات مدد جديد لهانيبال . وما كاد يتم عبور جبال الألب بقواته حتى أجبره القنصلان على الدخول فى المعركة ضدهم قبل أن يستريح جيشه . كان الجيشان الرومانيان يفوقان جيش هسدروبال عدداً ، كما كانا فى وضع نفسى أفضل بالمقارنة بالجيش القرطاجى الذى كان يعانى الإرهاق بعد العبور الطويل لجبال الألب وبخاصة فصائل الأفيال . ولكن لم يجد هسدروبال بداً من مواجهتهما ، فأطلق أفياله فى البداية لكى تحدث الاضطراب فى صفوف مشاة الجيش . اندفعت الأفيال بين صفوف الأعداء وحققت بعض النجاح ولكنها واجهت مقاومة شديدة من جانب الرومان بسبب (التكتيكات) الجديدة لمواجهتها مما أدى لإصابة أغلبها بالحروق وفقدان عدد كبير من مدربيها وأصبحت أغلب الأفيال بلا قيادة فهامت على وجوهها مذعورة فى المنطقة الفاصلة بين الجيشين حتى أصبح من غير الواضح لأى الفريقين تنتمى هذه الأفيال أو كما

وصفها ليفى Livy بأنها كانت « كالسفن التى تبحر بغير ربان » (٨٤) وأمام هذا الخطر اضطر هسدروبال إلى الأمر بقتل الأفيال المصابة بجروح شديدة مما أدى إلى فتكه بعدد من أفياله يفوق الذى قتل بأيدى الرومان . وقد كتب ديو Dio فى وصفه لهذه المعركة « بأن القرطاجيين قتلوا الأفيال ، أما الرومان فقد قتلوا الرجال » (٨٥) وانهزم هسدروبال بسبب فشله فى استغلال النجاح الوقتى للأفيال نظراً لإرهاق رجاله وقلة عددهم مقارنا بالرومان . وانتهت المعركة بهزيمة هسدروبال وقتله .

بدأت الحرب البونية الثانية منذ هزيمة هسدروبال فى ميتاوروس Metaurus تميل لصالح الرومان ، وقد حقق الرومان نجاحاً آخر فى عام ٢٠٦ ق . م فى أسبانيا عندما نجح سكيبيو الأفريقى Scipio Africanus (٨٦) فى خديعة جيش قرطاج بقيادة هسدروبال بن جسكو Hasdrubalb. Gisgo وأصابه بهزيمة قاتلة . ويلاحظ فى هذه المعركة التى وقعت فى إليبا Ilipa بأسبانيا أن النصر كان من نصيب القائد الذى استطاع أن يستغل نقاط القوة فى جيشه . استمر الجيشان لعدة أيام يتأهبان للقتال دون اشتباك . وكان سكيبيو يرتب لأمر ما فظل لأيام متتابعة يصحو مبكراً فينظم جيشه : المشاة فى القلب وكانوا من الرومان وقوات حلفائه الأسبان فى الجناحين ، ويأتى هسدروبال إلى ساحة المعركة متأخراً بعض الوقت فيرتب جنوده الموريتانيين والنوميديين فى القلب وحلفاءه فى الأجناب أما الأفيال فمكانها المقدمة وفى يوم المعركة غير سكيبيو فجأة نظام جيشه فوضع الأسبان فى القلب وجعل الرومان المدربين فى الأجناب ولم يلحظ هسدروبال هذا التغيير وأبقى نظامه على ما أعتاد عليه . وعندما بدأت المعركة أمر سكيبيو جناصة بالتقدم وأمر القلب بالتناقل بينما أندفعت أفيال هسدروبال لكى تهاجم القلب فوقعت فريسة الهجوم من الأجناب مما أدى إلى فقدان السيطرة على الأفيال فعادت على أعقابها مثيرة الفزع فى صفوف الجيش القرطاجى نفسه ، وقد استغل الرومان هذا التحول وشددوا من هجومهم على جيش هسدروبال مما أدى إلى تدميره .

وعاد هسدروبال بن جسكو إلى قرطاج بعد هزيمته فى إليبا Ilipa ، وقضى عام ٢٠٥ ق . م فى قيادة فرقة لصيد الأفيال ، نجحت هذه الفرقة فى الحصول على مائة وأربعين فيلا كانت بغير شك إضافة جديدة هامة لقوة الجيش القرطاجى(٨٧) .

وقعت آخر المعارك فى أسبانيا خلال الحرب البونية الثانية خلال عام ٢٠٣ ق . م بين ماجو Mago القائد القرطاجى والقوات الرومانية بقيادة فارو varro وكونيليوس Cornillius فى أقليم الغال الأنسبريان Insubrian Gauls . بدأ القتال بتفوق ماجو الذى نجح فى صد أول هجوم على مشاة جيشه لدفعهم للتقهقر ، وفشلت هجمة أخرى للفرسان الرومان على جناح الجيش القرطاجى عندما وجلت أفراسهم من الظهور المفاجئ للأفيال القرطاجية وفرت مذعورة . ولكن عندما تقدمت الأفيال إلى مرمى نبال الجنود الرومان نجحت صفوف الفرقة الحادية عشرة الرومانية فى إصابة كل فيل من أفيال ماجو بدفعات من السهام ، ونجحت فى مقاومة الأفيال نجاحاً تاماً أدى إلى خروج الأفيال تماماً من ميدان المعركة . ولكن الأفيال كانت قد نجحت قبل ذلك فى إحداث بعض الأضرار فى صفوف من لحقت بهم من جنود المشاة الرومان . استطاعت خيالة الرومان أن تعود للهجوم فى غيبة الأفيال ونجحت هذه المرة فى دفع قوات ماجو إلى الخلف فى قتال شديد متلاحم أصيب ماجو خلاله ونقل من ميدان المعركة . وقد أدت إصابة القائد القرطاجى إلى رجحان كفة الرومان . ولكنهم لم يتمكنوا من إحراز نصر حاسم على عدوهم ، فقد استطاع القرطاجيون أن ينسحبوا بنظام من ميدان المعركة حيث أبحروا إلى قرطاج ولم يقدر الرومان على مطاردتهم فقد كانوا يلعقون جراحهم(٨٨) .

كانت الجولة الأخيرة فى الحرب البونية الثانية على الأرض الأفريقية التى وصل إليها سكيبيو فى عام ٢٠٤ ق.م ، وانضم إلى صفوف الرومان الأغليد مسينسا النوميدى ، استطاع مسينسا أن يقدم خدمات جليلة لسكيبيو أثرت تأثيراً كبيراً على مركز القرطاجين خلال هذه الحرب ، ومن ذلك أنه أشار على سكيبيو باضرام النار بغتة فى معسكرات القرطاجين وحليفهم الوطنى الأغليد سيفاكس syphax(٨٩) وقد نجحت الخطة وتم القضاء تقريباً على جيش سفاكس الذى كان يضم ١٤٠ فيلا وكذلك على جيش هسدروبال بن جسكو ، إذ فزعت الأفيال من النيران المنتشرة فى المعسكرات وأسرعت بالهرب مثيرة الرعب والفوضى فى معسكراتها مما ساهم فى ازدياد الخسائر .

تقدم سكيبيو بعد هذا النصر فى اتجاه قرطاج ونجح فى أصطياد هانيبال (٩٠) الذى كان قد عاد من إيطاليا لأنقاذ وطنه — فى منطقة كيلا cilla وهذه منطقة قفرة تقل فيها إمدادات المياه . ووقع هانيبال ضحية سوء حظه فلم يكن أمامه إلا

أن يحارب فى ميدان ليس من اختياره بما يحمله هذا من آثار نقص إمدادت المياه أو أن ينسحب بجنوده مما سوف يؤدى بالقطع إلى أنهيار الروح المعنوية لدى الجنود. قرر هانيبال أن يأخذ بالأولى فدخل معركة زاما الحاسمة وكان جيشه يعانى من نقص المياه والارهاق فى البحث عنها .

كان لدى هانيبال فى هذه المعركة ثمانين فيلا دفعها إلى المقدمة وكان يليها مشاة الجيش . إلا أن سكيبيو استطاع أن يبتكر أسلوباً جديداً لمقاومة خطر هذه الأفيال فغير من نظام الجنود الذين كانوا يقفون فى صفوف بين كل جندى وجاره فاصل يغطيه جنود الصف الثانى ــ ثم يقف جنود الصف الثالث خلف جنود الصف الأول وهكذا وذلك بأن جعل كل الجنود فى كل الصفوف يقفون على محور واحد بمعنى أنه أمر بأن يتركوا بينهم فواصل تمتد من أول صف إلى آخر الصفوف. وكان هدفه من ذلك أن يترك فراغات بين هذه الصفوف تسمح باستمرار اندفاع الأفيال بين صفوفه حتى تخرج من مؤخرة المشاة دون أن تدوس أحداً فى طريقها وبذلك يستطيع أن يتجنب ضخامة حجم الخسائر بين جنوده ممن تدوسهم الأفيال . وفى نفس الوقت عين عدداً من الجنود المسلحين بأسلحة خفيفة يقفون فى مناطق الفراغات بين الصفوف مهمتهم مناوشة الأفيال مع الهرب من أمامها بين الصفوف لتفادى أى خطر وياحبذا لو استطاع بعض هولاء الجنود أن يصيبوا الأفيال بجروح وآلام فى منطقة ما تحت الذيل . الإجراء الثالث الذى اتخذه سكيبيو لمقاومة الأفيال كان تسليح الصفوف الأولى من جيشه بأسلحة حديدية ثقيلة تطلق قذائف على شكل سهام ، وكانت الأوامر الثابتة عند هؤلاء الجنود أن يهاجموا بشدة تقدم الأفيال ، ولكي يتحقق لهم سرعة واستمرار المقاومة عين سكيبيو مساعداً لكل جندى مهمته إمداده دائماً بمزيد من السهام .

وفى نفس الوقت وقف الفرسان النوميديون فى الأجنحة . نجحت خطة سكيبيو وعندما دفع هانيبال بأفياله إلى المعركة سرعان ما ذابوا بين صفوف العدو ، وعندما لاحظ سكيبيو أثناء القتال أن فرسانه الرومان الذين يقفون خلف المشاه بدأوا يفقدون السيطرة على خيولهم المرعوبة من منظر الأفيال أمرهم بالترجل والقتال كمشاه واطلاق الخيول بعيداً ، وهكذا كسب سكيبيو أولى مراحل القتال . وكانت الخطوة الثانية هى حرب المشاه التى حقق هانيبال فيها نجاحاً باهراً ولولا خدعة تعرض لها من جانب مسينسا لانتهت المعارك لصالحه . فقد انسحب مسينسا بفرسانه بعيداً ثم دار حول

جيش هانيبال وفاجأه من مؤخرته فأحدث الفوضى العامة فى الجيش وانتهت المعارك لصالح الرومان .

هزم هانيبال فى هذه المعركة لاعتبارات عديدة منها بالطبع فقد الجيش القرطاجى للمائة وأربعين فيلا التى أصيبت فى حريق المعسكرات خلال العام السابق ، ولنا أن نتصور مدى تأثيرها على نتائج معركة زاما لو قدر لها الاشتراك فيها(٩١) .

فرض القائد المنتصر شروطه على القرطاجيين وهذه الشروط تبين مدى أهمية الأفيال فى جيش قرطاج ومدى رعب الرومان من وجود هذا السلاح فى أيدى أعدائهم بالرغم من الابتكارات المتتالية التى وصلوا إليها لمقاومته . لقد أمر الرومان عدوهم المهزوم بأن يسلم للرومان كل الأفيال المتبقية وأن يتعهد بالامتناع عن صيد أو امتلاك أو تدريب أفيال جديدة . وهكذا انتهى عصر استخدام الأفيال فى قرطاج(٩٢) .

تركت الأفيال بصماتها على فنون العصر ، فكانت المدن القرطاجية تضع فى حسابها بناء مكان مناسب للتدريب وإقامة الأفيال ملحق بسور المدينة من الداخل(٩٣) كما لجأت مدن كثيرة إلى تصوير الفيل على عملتها إشارة إلى قوته وقد تم العثور على عدد من هذه العملات فى أسبانيا من عصر البرقيين Baıcids فضلا عن بعض القطع فى منطقة سهل البو فى إيطاليا ، والشئ المحير أن قرطاج نفسها لم تصور الفيل على عملتها(٩٤) .

لم ينته دور الفيل الأفريقى فى الحروب فى شمال أفريقيا باستسلام قرطاج إذ أن الممالك الوطنية مثل موريتانيا ونوميديا استخدمتا الفيل كسلاح رئيسى فى جيوشهما ونحن نعلم أن مسينسا قد أرسل إثنى عشر فيلا ضمن مساعداته لروما فى الحرب المقدونية الثالثة(٩٥) كما أرسل مسيبسا بن مسينسا قوات نوميدية لمساعدة سكيبيو الأميلى Scipio Aemilianus عام ١٣٤ ق.م وكانت هذه القوات تضم أثنى عشر فيلا بالإضافة إلى عدد من الفرسان وحاملى الأقواس والمقاليع بقيادة يوغرطة بن أخيه(٩٦) . وقد تم العثور على قطعتين من النقود فى شمال أفريقيا الأولى على وجهها وجه يوغرطة وعلى الوجه الآخر رسما لفيل أفريقى ، والقطعة الأخرى من عصر يوبا الثانى تحمل صورته على الوجه وفيل أفريقى على الوجه الآخر(٩٧) .

من المؤكد أن الفيل الأفريقى كون قوة هامة فى الجيش القرطاجى وقد تزايدت أهمية هذه القوة بمرور الزمن ، ورغم أننا لا نملك كل الأرقام عن أعداد الأفيال التى استخدمتها قرطاج منذ بدأ معرفتها هذا السلاح إلا أن المسجل من هذه الأرقام يعطى إشارة واضحة عن صدق اعتقادنا بأهمية هذا السلاح والبيان التالى يعطى صورة واضحة عما نقول :

١ ــ حشر القرطاجيون ٥٠ فيلا فى صقلية عام ٢٦٢ ق.م ٥٠

٢ ــ اشترك مائة فيل فى الحرب ضد الرومان بقيادة روجولوس ١٠٠
٢٢٥ ق.م .

٣ ــ فقد هسدروبال فى معركة بالرمو Palormus ٢٥٥ ق.م ١٤٠
عدد ١٤٠ فيلا

٤ ــ اشترك ١٠٠ فيل بقيادة هانو فى حرب المتمردين عام ٢٤٠ق.م ١٠٠

٥ ــ قاد هملكار قوة من ٧٠ فيلا أثناء مقاومته للمتمردين ثم أكثر
من مائة أثناء وجوده فى أسبانيا . ١٧٠

٦ ــ وصل عدد الأفيال فى جيش هسدروبال فى الفترة من
٢٢٩ــ٢٢٣ ق.م إلى أكثر من مائتى فيلا . ٢٠٠

٧ ــ ضمت قوات هانيبال ٤٠ فيلا أثناء وجوده فى أسبانيا وتلقى
٤٠ فيلا كمدد أثناء وجوده فى ايطاليا . ٨٠

٨ ــ فقد هسدروبال جسكو وسيفاكس ١٤٠ فيلا أثناء الهجوم
الليلى الذى شنه سكيبيو عليهم فى ٢٠٣ ق.م . ١٤٠

٩ ــ اشترك فى جيش هانيبال فى زاما ثمانون فيلا . ٨٠

وهكذا نلاحظ أن مجموع الأفيال التى يمكن حصرها من بين ما استخدمه القرطاجيون فى الفترة من ٢٦٢ إلى ٢٠٢ ق.م يزيد عن ألف ومائة من الأفيال المدربة ولنا أن نتصور كم كان العدد الأصلى للأفيال التى صادها القرطاجيون وبقى منها هذا العدد بعد الترويض والتدريب . ولنا أيضاً أن نضيف إلى ذلك ما حصل عليه القرطاجيون من أفيال من مصادر أخرى مثل البطالمة أو غيرهم .

أن هذه الصورة تبين إلى أى حد وصلت أهمية الفيل الأفريقى فى قوات القرطاجين .

(٣) الفيل الأفريقى فى جيش أكسوم (Aksum)

يقول بعض المؤرخين أن البطالمة أنشأوا عدول (Adulis) كمركز لصيد الأفيال شأنها فى ذلك شأن بطوليميس ثيرون على الساحل الغربى للبحر الأحمر فى السودان (٩٨) . ورغم أننى أعتقد أن عدول قد أنشأها العرب فى عصر سابق على وجود البطالمة (٩٩) فليس لدى دليل على عدم قيامها بهذا الدور على عصر البطالمة ، بل العكس هو الأقرب للصواب إذ أنها كانت مدينة تجارية يؤمها التجار من كل المناطق المحيطة يتبادلون فيها كثيراً من السلع ، وليس بمستبعد أنها تاجرت فى الأفيال الحية مثلما تاجرت فى سنون الأفيال . ويؤكد هذا الاحتمال أن صاحب الطواف فى البحر الاريترى يشير إلى وجود الأفيال فى مناطق أكسوم الداخلية وكذلك على الساحل بالقرب من عدول—وإن كانت الأعداد الأخيرة قليلة—(١٠٠) ويذكر ننوسوس (Nonnesos) سفير الإمبراطور جستنيان Jnstinian إلى ملك أكسوم فى أوائل القرن السادس أنه رأى فى منتصف الطريق بين عدول وأكسوم قطيعاً من خمسة آلاف فيل يرعون فى حقول الأهالى الذين يجدون صعوبة بالغة فى دفعها بعيداً عن مراعيها(١٠١) .

ولا تتكلم المصادر الأكسومية عن ترويض أفيال ولكننا نجد إشارات متناثرة تدل على ترويض الأفيال فى أكسوم فيوحنا مالالاس Malalas الذى زار المنطقة فى الربع الأول من القرن السادس الميلادى يقول عند وصفه للعرش الأكسومى « أن الملك كان عاريا إلا من رداء من الكتان والذهب عند خاصرته وكان يلبس على البطن والأكتاف شرائط جلدية مطعمة باللآلى فضلا عن خمسة أساور ذهبية فى يديه ، وكان يربط رأسه بحزام من الذهب والكتان تتدلى منه أربعة شرائط على كل جانب فضلا عن ياقة ذهبية حول العنق وكل يقف على أربعة أفيال ، تحمل منصة ذات أربعة عجلات ، محاطة من أعلاها بأوراق مذهبة مثل عربات حكام الأبارخوى ووقف ممسكاً فى يديه درعاً مذهباً صغيراً ورمحين صغيرين مذهبين أيضاً . »(١٠٢) .

لقد كان مالالاس يصف ما رآه بنفسه عندما استقبله الملك الأكسومى كسفير لجستنيان Justinian ولذلك فإذا كان هناك احتمال فى أن يخطىء فى وصفه

لتفصيلات معينة فلا يمكن أن نتصور خطأه فى رؤية أربعة أفيال ضخمة كان الملك يقف فوقها . ونستطيع من هذه الإشارة أن نقول بأن الأكسوميين كانوا يروضون الأفيال بل ويستخدمونها فى القتال . فنى اعتقادى أن الملك الأكسومى وقد بدأ عند استقباله للرسول البيزنطى فى حلة الحرب وكذلك رجال بلاطه (١٠٣) أراد أن يبعث فى نفس الرسول البيزنطى الاحساس بقوته وهو يعلم قطعاً أن ما يراه هذا السفير سوف ينقل إلى الإمبراطور البيزنطى ، كما يعتقد بالطبع أن ظهوره بهذا المظهر يقوى من مركزه فى أى مفاوضات تجرى بين الطرفين .

ويؤكد ما ذهبنا إليه إشارتان أخريان فقد استخدم الأكسوميون الأفيال عندما توجهوا للاستيلاء على مكة تحت قيادة أبرهة الأشرم فى عام الفيل ، وقد اختلف الرواة فى تحديدهم لأعداد الأفيال التى اشتركت فى القتال فقيل أن عددهم واحد وقيل أربعة وقيل ثمانية وقيل إثنى عشر فيلا(١٠٤) .

والرواية العربية عن سيف بن ذى يزن وطرده للأكسوميين من اليمن فى عام ٥٧٠ م بمساعدة الفرس تتحدث عن ارتقاء (مسروق) قائد الأكسوميين على ظهر فيل أثناء القتال ، وهو ما يجعل هناك احتمالا لاشتراك أفيال أخرى(١٠٥) .

ان استخدام الجنود الأكسوميين للأفيال فى الجزيرة العربية يشير بغير شك إلى معرفتهم لها فى بلادهم والأكثر احتمالا بالطبع أن هذه الأفيال هى نفسها من أكسوم .

وإذا درسنا هذه الملاحظات ككل فإننا لا نشك فى أن الأكسوميين عرفوا أفيال القتال وأنهم دربوها بأنفسهم ولكن يبقى سؤال حائر لا يجد الإجابة ؟ هو لماذا لم تذكر الأفيال فى نصوص عيزانا عن حروبه ونحن نعلم أنه كان حريصاً على أن يذكر كل صغيرة وكبيرة عن هذه الحروب .

هوامش البحث :

(١) انتصر الاسكندر الأكبر على الملك الهندى بوروس Porus فى معركة نهر هيداسبس Hydaspes أحد روافد الأندوس سنة ٣٢٦ ق.م وكان جيش الملك الهندى يضم مائتى فيل ، أنظر :
J. ALLAN, *The Cambridge Shorter History of India*, Delhe, 1964. pp. 19—22.

(٢) انقسمت امبراطورية الاسكندر بين حرسه وقواد جيشه بعد وفاته فى بابل سنة ٣٢٣ق.م ، وكان أشهر هؤلاء القادة بطليموس بن لاجوس الذى حكم مصر ، وسليوكس الذى عرف بالأكبر وتولى أمر الولايات الشرقية وبلاد ما بين النهرين وسوريا ، انتيجونس الذى حكم آسيا الصغرى وبرديكاس Peıdiccas الذى تولى القيادة العامة لجيش الامبراطورية وكراتروس الذى عين وصيا على فيليب أرهدايوس أخ الأسكندر غير الشقيق ، للمزيد من التفصيلات أنظر : ابراهيم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة ، ٣ أجزاء ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٣) تنازل سليوكس للملك بوروس عن أقاليم باربانيسادى Parapanisadae وأريا Aria وارخوسيا Arachosia والجزء الشرقى من جدروسيا Gedrosia ، وهى تقابل فى الوقت الحاضر النصف الجنوبى من بلوخستان وأفغانستان ، أنظر J. ALLAN, OP. CIT.PP. 26—27

(٤) J. ALLAN, Ibid pp. 24—27

(٥) تمثل مملكة مروى العصر الثانى من دولة كوش السودانية وقد بدأ هذا العصر فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد واستمر إلى القرن الرابع الميلادى وكانت منطقة سهل البطانة هى قلب المملكة . للمزيد من القراءة أنظر : فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

(٦) سوف أقصر اهتمامى هنا على دور الفيل الافريقى فى المعارك التى اشترك فيها وللقارىء الذى يرغب فى معرفة المزيد عن الصراع بين قرطاج وروما أن يقرأ :

توفيق الطويل ، قصة الكفاح بين روما وقرطاج ، القاهرة د.ت .

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، الجزء الأول القاهرة ، د.ت .

(٧) عاشت مملكة اكسوم من القرن الأول إلى القرن العاشر الميلادى وكانت فترة إزدهارها من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلاديين . للمزيد من القراءة أنظر :

فوزى مكاوى ، مملكة أكسوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

(٨) وقعت هذه المعركة بين أنتيوخس الثالث Antiochus III الملك السليوكى وبطليموس الرابع (فيلوباترا) ملك مصر وقد انهزم الملك المصرى فى البداية ولكنه انتصر عند استئناف القتال فى العام التالى .

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ص ٨٥—٨٧

(٩) عاش بوليبيوس فى روما فى الفترة من ٢٠٤ ق. م إلى ١١٢ ق.م وأرخ للجمهورية الرومانية خاصة فترة ما بين الحربين البونية الثانية ومنتصف القرن الثانى قبل الميلاد .

(١٠) قال بوليبيوس « . . . هربت أغلب أفيال بطليموس من المعركة ، كما هى عادة الأفيال الأفريقية ، لأنها لم تستطع تحمل رائحة الأفيال الهندية وهدير أقدامها . بالاضافة إلى ذلك ، فانه يبدو لى ، أنها ذعرت من حجمها الكبير وقوتها (الفائقة) لدرجة أنها ولت الأدبار قبل أن تقترب منها ، وهذا ما حدث فى تلك المعركة . . . » .

Polybius, Bk. V, C. 84.

(١١) قال بيفان Edwyn Bevan فى كتابه *Egypt under the Ptolemaic dynasty* London, 1957

« . . . ان ملاحظة المؤلفين القدامى عن صغر حجم الفيل الأفريقى بالنسبة للفيل الهندى ليست حقيقية ، فان الارتفاع المعتاد للفيل الهندى يتراوح من ثمانية إلى عشرة أقدام بينما يصل الفيل الأفريقى أحيانا فى ارتفاعه إلى اثنى عشر قدما . . . » .

وقال تارن W.W. Tarn عالم العصر الهلينستى الشهير :

« . . . إن قول بوليبيوس بأن الهزيمة كانت بسبب صغر حجم الأفيال الافريقية وضعفها مقارنة بالأفيال الهندية لا يعدو أن يكون تكراراً غبيا لما قاله Ctesias وقد ظل المؤرخون ينقلون هذا الخطأ واحداً عن الآخر لقرون حتى بعد أن عرف الفيل الأفريقى بحجمه الحقيقى . . . » .

W.W.Tarn, *Hellenistic Nowal and Military developments,* London, 1928

وقد كرر نفس القول مؤلفين آخرين مثل كارى M. Cary الأستاذ السابق بجامعة لندن

M. Cary, Polybius and and a literary Commonplace, *classical quarterly,* 1926, Vol. 47—No. 188.

(١٢) W. Gowers, African Elephants and Ancient Authors, *African Affairs,* 1948 pp. 173—180.

(١٣) تشير التقارير المختلفة إلى أن الأفيال كانت منتشرة فى مناطق لا تعرفها الآن مثل شمال شرق السودان الذى أشارت إليه المصادر البطلمية وكذلك مملكة مروى التى أشارت إليها تقارير البعثة الاستطلاعية التى أرسلها نيرون إلى هناك ، ويدل على هذا أيضا السهولة التى كان القرطاجيون يحصلون بها على مئات الأفيال من مناطق أصبحت الآن الصحراء الكبرى فى شمال أفريقيا . أنظر :

فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، المرجع السابق وأيضا :

H.H. Scullard, Hannibal's Elephants, *Numismatic Chronicle,* 6th series, London, 1948 p 166

(١٤) كان أشهر مدربى الأفيال من الهنود ، وعندما أراد بطليموس الثانى تدريب الأفيال الأفريقية استعان بالمدربين الهنود وفعل القرطاجيون نفس الشىء حتى كان لفظ هندى يطلق على مدرب الأفيال أيا كانت جنسيته . H.H. Scullard, Ibid, p 161

(١٥) كان موت المدربين سببا فى نفوق كثير من الأفيال القرطاجية ، أنظر نفس الدراسة ، الفيل الأفريقى فى جيوش قرطاج ونوميديا وموريتانيا .

(١٦) ومن الغريب أن هذه الظاهرة ينفرد بها الفيل على عكس كثير من الحيوانات الأخرى

Thompson, *The Battle Elephant*, MA, Belfast university, 1969 pp 7—8

(١٧) اضطر هسدروبال Hasdrubal أخى هانيبال Hannibal إلى إصدار أوامره بقتل عدد من أفياله عندما قتل قادتها فى معركة ميتاوروس Metaurus خوفا من خطرها على جيشه ، أنظر الدراسة الخاصة بالأفيال فى جيش القرطاجيين .

(١٨) Thompson, Ibid, Appendix "B" pp 170—174

(١٩) Thompsom, Ibid, pp 13—16

(٢٠) Polybius XVIII. 6

(٢١) كل معارك الأفيال أكدت هذه الخطة ولكن نتائج المعارك اختلفت حسب توفيق بقية أسلحة الجيش فى استغلال النتائج التى حققتها الأفيال ولعل معركة القرطاجين ضد روجولوس Regulus الرومانى فى عام ٢٥٥ ق.م خير مثال على هذه الخطة فى حالة نجاحها ، ومعركة كابو Capua التى قاد فيها هانيبال جنوده وأفياله ضد الرومان مثال جيد لهذه الخطة فى حالة فشلها .

أنظر التفاصيل فى نفس الدراسة .

(٢٢) قائد قرطاجى استطاع أن يعيد مجد قرطاج بعد هزيمتها أقام روما فى الحرب البونية الأولى ٢٦٤ — ٢٤١ ق.م وكانت قرطاج قد فقدت مستعمراتها البحرية بسبب هذه الحرب كما دفعت غرامة حربية كبيرة . ولكن هملكار برقة أقام امبراطورية قرطاجية فى أسبانيا أدت إلى رخاء قرطاج فى فترة وجيزة . أنظر .

جوليان ، شارل أندرى ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، تونس ، ١٩٦٩ . صص ٩٩ — ١٠١ .

(٢٣) كانت قرطاج تعتمد على جنود نوميديين وموريتانيين وليبيين وقد عجزت عن دفع استحقاقاتهم عندها بعد هزيمتها فى الحرب البونية الأولى مما أدى إلى ثورتهم ، وامتدت الثورة إلى مناطق متعددة وانضم إليها كثيرون من الوطنيين ودامت من عام ٢٤١ إلى ٢٣٧ ق.م عندما استطاع هملكار برقة القضاء عليها . لمزيد من التفاصيل أنظر :

أحمد صقر ، مدنية المغرب العربى فى التاريخ ، الجزء الأول ، تونس د.ت ص ٢٠٢ وما بعدها.

(٢٤) ذكرت تفاصيل المعركة فى مكان آخر من هذا البحث .

(٢٥) كان الرومان هم أهم الأعداء الذين واجهوا الفيل الافريقى وطوروا أساليبهم باستمرار لمواجهة خطره .

(٢٦) أنظر دراسة المعركة فى نفس البحث .

(٢٧) تعتبر معركة ترابيا Trabia أول معارك هانيبال على الأرض الايطالية وقد وقعت على ضفاف نهر Trabia أحد روافد البو Po وكان الجيش الرومانى بقيادة القنصل سيروتيوس . وقد نجح هانيبال فى الايقاع بالجيش الرومانى والانتصار عليه .

(٢٨) كان صاحب هذا التطوير هو القنصل الرومانى ماركيللوس Marcellus

(٢٩) سكيبيو أفريكانوس هو كورنيليوس بن بيبليوس سكيبيو قنصل عام ٢١٧ ق.م وقد لقب بالأفريقى بعد أن حقق النصر النهائى لروما على قرطاج خلال الحرب البونية الثانية فى عام ٢٠٢ وفرض على قرطاج شروط معاهدة استسلام اضطر هانيبال لقبولها .

(٣٠) راجع ما ذكرته عن معركة زاما فى هذا البحث .

(٣١) مسينسا : ملك نوميديا خلال النصف الأول من القرن الثانى ، وقد حارب هذا الرجل فى شبابه إلى جانب القرطاجيين فى أسبانيا ولكنهم خذلوه فى الصراع الذى دار حول أحقيته اعتلاء عرش بلاده فقاوم وأتى كثيرا من البطولات ثم انضم للرومان ضد قرطاج خلال المرحلة الأخيرة من الحرب البونية الثانية ، وكان صاحب أفضال كبيرة على روما خلال هذه الحرب وقد بقى على صداقته لروما بعد الحرب . وقد قام خلال فترة حكمه المديدة بكثير من الأعمال العمرانية العظيمة ويرى بوليبيوس الذى كان مفتونا به أنه أبو النهضة فى كل مجال فى نوميديا .

P.G. Walsh, Massinissa, *Journal of Roman Studies*, Vol. LV London, 1965. pp. 149— 160.

(٣٢) كانت مروى بين الشلالين الخامس والسادس هى عاصمة مملكة كوش خلال الجزء الثانى من حياتها ويؤرخ هذا الجزء ما بين ٥٩١ ق.م إلى ٣٤٠ م بينما كانت نبتا التى تقع عند الشلال الرابع هى عاصمة الفترة الأولى التى امتدت من القرن الثامن إلى القرن السادس ق.م .

للمزيد من التفاصيل راجع ،

فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، رسالة ماجستير غير منشورة القاهرة ١٩٧١ .

(٣٣) جوف سوريا ، كان التعبير الذى اطلق على المنطقة التى تشمل فلسطين والساحل الفينيقى وجزء من جنوب سوريا .

لمعرفة تفاصيل الصراع بين البطالمة والسليوكيين أنظر :

ابراهيم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق .

(٣٤) Diodous, XVIII 33— 36.

(٣٥) W. Gowers and H.H. Scullard, Hannibal's Elephants again, *Numismatic Chronicle* 6th *Series-lo-london,* 1950 p. 272.

(٣٦) ديمتريوس بن انتيجونس وكان قائداً لجيش أبيه فى سوريا . نجح هذا الرجل فى طرد سليوكس من ولايته عام ٣١٦ ق . م فلجأ إلى مصر . وقد هزمه بطليموس الأول فى معركة بفلسطين قرب غزة ٣١٢ ق. م وقد لعبت الأفيال دوراً هاماً فى المعركة لصالح ديمتريوس ولكن عندما نجح بطليموس الأول فى تحييد هذه الأفيال رجحت كفته وهزم دمتريوس .

W. Gowers and H.H. Scullard, Ibid p. 273

(٣٧) Diodorus XIX, 83—84.

(٣٨) عقد بطليموس الأول فى عام ٣١٥ ق.م محالفة مع كل من سليوكس وكاسندروس

Cassandres – حاكم مقدونيا وبلاد الاغريق – وليسيماخوس Lysimachus حاكم تراقيا ضد انتيجونس الذى هدد بأطماعه سلامة الولاة الآخرين وقد أدت هذه المحالفة إلى طرد جيش انتيجونس من سوريا بعد هزيمة ابنه ديمتريوس قرب غزة ٣١٢ ق.م . ثم جدد الحلفاء حلفهم ضد أنتيجونس فى عام ٣٠٢ ق.م وأدت المحالفة الجديدة إلى القضاء على انتيجونس فى موقعة ابسوس Ipsos ٣٠١ ق.م.

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق صص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٣٩) كان ذلك فى احتفال يمثل عودة ديونيسيوس Dionysius من الهند وتاريخ إقامة هذا الاحتفال غير مؤكد وان كان يقع فى الفترة من ٢٧٩–٢٧٨ ق.م و ٢٧١–٢٧٠ ق.م . راجع :

W. Gowers and H.H. Scullard, Op. cit. p. 274.

(٤٠) انشاء البطالمة عدداً من مراكز صيد الفيلة على الساحل الغربى للبحر الأحمر مثل سوتيراس ليمن Soteiras Limen وبطوليمبس ثيرون Ptolemais Theron وغيرها ، وقد كانت هذه المراكز مقصد ما يوفده البطالمة من حملات لاصطياد الفيلة وغيرها من أنواع الحيوانات النادرة .

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق صص ١٢٣–١٢٤

(٤١) تقع هذه المدينة على البحر الأحمر على خط عرض أسوان تقريباً وتعرف فى الوقت الحاضر باسم برنيس .

(٤٢) Thompson, Op. cit. p. 88.

(٤٣) تقع المصورات الصفراء فى سهل البطانة الذى كان مركز الحضارة الكوشية فى العصر المروى زارها فى القرن التاسع عشر كل من لينان دى بلفون وهوسكنس وقد كتب الأخير عن آثارها بأنها : ... المجهودات المعمارية الأخيرة لشعب ذهبت عظمته وفسد ذوقه ... » ولكن أثبتت الحفائر الأثرية الأخيرة التى قام بها الألمان بقيادة هنتزا Hintze أنها تضم العديد من الآثار المعمارية والفنية الرائعة .

Hintze, F Alte Kulturen in Sudan (Munchen, 1967)

(٤٤) فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، المرجع السابق صص ٢٠١–٢٠٣

(٤٥) أنظر اللوحة رقم ١

(٤٦) أنظر اللوحة رقم ٢

(٤٧) أنظر اللوحة رقم ٣

(٤٨) قامت هذه الحرب السورية الثالثة بين ورثة أنتيوخس الثانى ملك سوريا السيلوكية فى ٢٤٦ ق.م وقد تدخل فيها بطليموس الثالث إلى صف أخته برنيكى وابنها ضد الزوجة الأولى لا نتيوخس وتسمى لاوديكى Laodice . استطاع بطليموس خلال هذه الحرب أن يوسع أملاكه حتى بلغت أوج اتساعها وقد ترك نصاً نقله كوزماس فى القرن السادس من عدول ذكر فيه أنه سيطر على جيوش المناطق الشرقية حتى نهر الفرات كما سيطر على الأفيال الهندية .

ابراهيم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة جـ١ صص ٦٥–٦٦ .

(٤٩) تعتبر معركة رفح أحدى معارك الحرب السورية الرابعة التى بدأت عام ٢٢١ ق.م فى أواخر حياة بطليموس الثالث . وكانت هذه الحرب قد توقفت بعض الوقت عقب هزيمة السلوكيين فى أولى معاركها . وانشغل الملك السليوكى بأمور بلده . ولكن اعتلاء بطليموس الرابع لعرش مصر وكان شاباً ماجنا وإنهماك وزيره سوسيبيوس فى تدعيم مركزه أغريا الملك السليوكى بالتقدم فى اتجاه مصر فى ربيع عام ٢١٩ ق. م ولكنه لم يتم زحفه بل وافق على عقد هدنة لمدة أربعة أشهر على أن يتم تسوية الخلافات بين البلدين بطريق المفاوضات . ثم بدأ الوزير البطلمى المفاوضات وأطال فى مراحلها حتى استطاع أن يتدبر الأمر ويكون جيشاً ويعده واضطر أمام إلحاح الظروف أن يجند ويسلح عشرين ألفاً من الفلاحين المصريين كان لهم النصر النهائى فى معركة رفح ٢١٧ .

لمزيد من التفاصيل راجع :

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق ص ص ١٣٥—١٣٧ .

(٥٠) Polybius, V. 84.

(٥١) W. Gowers and HH. Scullard, op cit. 277.

(٥٢) عندما توفى بطليموس الرابع وآل حكم مصر إلى بطليموس الخامس — وكان طفلا — عقد أنتيوخس الثالث غريم مصر ، وفيليب الخامس ، حليفها ، اتفاقية سرية لاقتسام ممتلكات مصر الخارجية وازاء هذه الأخطار استنجدت مصر بروما . وقد استغلت الأخيرة الموقف وزادت من تدخلها فى شئون مصر حتى صار تعيين الحكام البطالمة وعزلهم رهنا باشارة روما .

راجع : ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عهد البطالمة جـ١ ص ص ٩١—٩٢

(٥٣) لم تذكر المصادر الأدبية شيئاً عن اشتراك الأفيال فى حروب مملكة كوش المروية ولكن الرسم البارز على جدران مصورات الصفراء لا يدع مجالا للشك فى وجود هذا الدور للأفيال . راجع اللوحة رقم ٣

(٥٤) تقع قرطاج فى شمال تونس الحالية ، وهى مستوطنة أنشأها مواطنو صور خلال القرن التاسع ق.م وأصبحت خلال القرن الرابع ق.م أقوى الدول البحرية فى غرب البحر المتوسط سيطرت على شواطئ تلك المنطقة ومدت نفوذها إلى أراضى نوميديا وموريتانيا (الجزائر والمغرب) وأسبانيا ونافست روما وكادت تقضى عليها خلال الحرب البونية الثانية ، ولكنها سقطت فى النهاية تحت أقدام روما فى عام ٢٠٢ ق.م وظلت أسيرة سيطرتها حتى دمرتها روما فى عام ١٤٦ ق.م .

أما نوميديا وموريتانيا فقد قامت بهما ممالك وطنية متأثرة بالنفوذ الحضارى لقرطاج منذ القرن الرابع ق.م وقد تزايدت قوة هاتين الدولتين بعد هزيمة قرطاج عام ٢٠٢ ق.م ، ولكنهما وقعتا تحت النفوذ الرومانى وبقيتا تحت هذا النفوذ حتى ضمتهما روما نهائياً إلى أملاكها عام ٤٠ م .

للمزيد عن هذا الموضوع اقرأ :

رشيد الناضورى ، المغرب الكبير ، العصور القديمة القاهرة ١٩٦٦ .

(٥٥) W. Gowers, The African Elephant in warfare, *African Affairs*, No. 182 London, 1964. p. 44.

H.H. Scullard, P. 159. (٥٦)

(٥٧) كان بيرهوس ملكا على ابيروس Epirus إحدى الممالك الاغريقية وكانت تملؤه روح المغامرة عبر البحر الادرياتى فى عام ٢٨٠ ق.م لانقاذ إغريق ايطاليا من سيطرة روما وإغريق صقلية من سيطرة قرطاج وقد نجح فى مهمته الثانية نجاحا كاملا بينما لم يحقق مراده بالنسبة للمهمة الأولى رغم انتصاره فى بعض المعارك .

للمزيد من التفصيلات راجع :

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، القاهرة ، د.ت ص ص ٤٨ — ٥١ .

(٥٨) كان وزن التالنت الواحد ستون منا Mine ووزن المن الواحد مائة درهم والدرهم ٤,٣٦ جراما أى كان التالنت يساوى ٢٦,١٦ كيلو جراما من الفضة أوالذهب وأن اختلفت القيمة فتالنت الذهب كانت قيمته تساوى عشر مرات قدر مثيله من الفضة .

أحمد صفر ، المرجع السابق ص ٢٣٤ ، ١

W. Gowers and H.H. Scullard, op. cit pp. 277—278 (٥٩)

(٦٠) كانت معركة أجريجنتم إحدى المعارك المبكرة فى الحرب البونية الأولى وقعت فى عام ٦٢٢ ق.م وقد حاصر القرطاجيون تلك المدينة بجنودهم وأفيالهم وأسطولهم ، ولكن الغلبة كانت للرومان ويبدو أن الأفيال كانت فى الصف الثانى خلف فرقة من الجنود المرتزقة وهذا مخالف للأسلوب الذى استخدمت به الأفيال بعد ذلك . وقد أدى هذا الخطأ فى استخدام الأفيال إلى التعجيل بهزيمة الجيش القرطاجى ، راجع .

W.Gowers, The African Elephant in Warfare, op. Cit. p. 44.

(٦١) أحمد صفر ، المرجع السابق ص ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٦٢) للقراءة عن أنظمة الجيوش القديمة راجع .

جورج كاستلان ، تاريخ الجيوش ترجمة كمال دسوقى ، القاهرة ، د.ت .

(٦٣) وقع القائد روجولوس أيضا أسيرا فى أيدى القرطاجيين ، وقد أصبح هذا الرجل بطلا قوميا رومانيا . فقد روى عنه أنه أعيد إلى روما على رأس وفد من الأسرى الرومان بعد أن وعد بالعودة إلى قرطاج إذا أخفق فى حمل السناتو على قبول شروط الصلح التى وضعها القرطاجيون . ولكن القصة تقول بأنه هو الذى أقنع السناتو بعدم الموافقة وذهب إلى آسريه رابط الجأش حيث قتلوه شر قتلة . وقد راجت هذه الرواية بين الرومان الذين كانوا يدللون على صدق الرومانى فى الوفاء بالوعد :

عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ص ص ١٠٢ — ١٠٣ .

Thompson, op. cit. pp. 110—111. (٦٤)

W. Gowers, The African Elephant in Warfare, op. cit., p. 45. (٦٥)

(٦٦) كان الجنود النوميديون والموريتانيون والليبيون يكونون عصب الجيش القرطاجى وكان هؤلاء الجنود يعملون لقاء أجر ربما كان جزءا من الغنائم ، ولكن قرطاج هزمت فى الحرب البونية الأولى وخرجت مدينة ومفلسة ولم تكن على استعداد لدفع أى أموال إضافية لهؤلاء الجنود ، ومن ثم ثار هؤلاء

الجنود بقيادة جندى ليبى يدعى ماتوس وانضم إليه اسبنديوس وكان عبدا رومانيا هاربا وأوتاريت وكان غالى الأصل نجح هؤلاء القواد الثلاثة فى أن يذيقوا قرطاج الكثير من المرارة بل وصل بهم الأمر إلى حصار المدينة وقطع طرق إمدادها بالبر . ولكن بعد نضال دام ثلاث سنوات وأربعة أشهر قضى هملكار برقة على هؤلاء الثوار . للمزيد عن هذا الموضوع :

أحمد صفر ، المرجع السابق ص ص ٢٠٢ – ٢٠٩ .

(٦٧) Thompson, op. cit. pp. 113—114.

(٦٨) H.H. Scullard, op. cit. p. 160.

(٦٩) هانيبال أكثر قواد قرطاج شهرة فى التاريخ وقيل أن روما لم تكره فى تاريخها رجلا مثلما كرهت هانيبال فقد أذاقها العذاب والهزيمة لسنوات طويلة إبتداء من عام ٢١٨ ق.م. ولكنه هزم فى النهاية فى ظروف غير مواتية عام ٢٠٢ ق . م ولم تتركه روما فاضطر لترك قرطاج ولجأ إلى بلاط فيليب الخامس ملك مقدونيا ولكنه اضطر فى النهاية إلى الانتحار فى عام ١٨٣ ق . م للمزيد من القراءة ،

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، المرجع السابق ، ص ص ١٠٥ – ١٢٢ .

(٧٠) Thompson, op. cit. p. 114.

(٧١) H.H. Scullard, op. cit. p. 162.

(٧٢) الاستاديون Stadion الواحد يساوى ١٨٥ مترا أى أن هذا القسم من جيش هانيبال سار لمسافة ٣٧,٥ كيلو مترا نحو الشمال .

عبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٦٢ هـ ١ .

(٧٣) Polybius, III, 46 1—12.

(٧٤) Thompson, op. cit. p. 118.

(٧٥) سبق هانيبال إلى تنفيذ نفس الفكرة برديكاس عندما غزا مصر فى ٣٢١ ق.م.

(٧٦) Pybolius, III. 72. 2.

(٧٧) Thompson, op. cit. p. 119.

(٧٨) W. Gowers, The African Elephant in Warfare, op. cit. p. 46.

(٧٩) لعل من غريب الصدف أن يتم هانيبال أفضل معاركه فى غياب فيل القتال فقد أنتصر على القنصل فلامينيوس فى تراسمينوس عام ٢١٧ ق.م وأباد جيشه . كما استطاع أن يبيد ثمانين ألف جندى رومانى ومعهم القنصل أميليرس باولوس Aemilius Paulus فى معركة كاناى سنة ٢١٦ ق.م دون أن يكون لديه سوى فيله الخاص المسمى سورس surus .

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، المرجع السابق ص ص ١١١ – ١١٧ .

(٨٠) قتل هانيبال أربعين فيلا بقى منهم عند قيام معركة كابوا اثنين وثلاثين .

W. Gower., The African Elephant in warfare, op. cit. p. 46.

(٨١) Thompso¬, op. cit. p. 122.

(٧٢) Ibid.

(٨٣) كان الرومان يتوقعون وصول قوات المدد وكلفوا جيشاً بقيادة القنصل ليفيوس أن يترقب وصول هسدروبال جنوب أريمينوم Ariminum على البحر الإدرياتى أما القنصل الآخر كلوديوس نيرون claudius Nero فقد كلف بتأديب بعض الإيطاليين المتمردين بالإضافة إلى التصدى لهانيبال الذى كان يعسكر بجنوده فى أبوليا فى الجنوب الشرقى من ايطاليا . وقع فى أيدى نيرون أحد رسل هسدروبال لأخيه لينبئه بقرب وصوله . استغل نيرون الموقف وتسلل بأغلب قواته إلى الشمال منضما إلى القنصل الآخر حيث التقيا بهسدروبال على ضفاف نهر ميتاوروس وفرضا عليه الدخول فى معركة غير متكافئة .

بعد انتصار الرومان ألقى نيرون برأس هسدروبال فى معسكر أخيه مما كان له أسوء الأثر على نفسه . أما الرومان فقد أقاموا عيداً لشكر الآلهة لمدة ثلاثة أيام .

للمزيد من القراءة عن هذه المعركة :

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، المرجع السابق ص ص ١١٧ — ١٢٠ .

(٨٤) Livy XXVII 49. 1—2.

(٨٥) Dio cassius, The Roman History, XVI p. 211.

(٨٦) هو كورنيليوس بن بيبليوس سكيبيو قائد جيش الرومان ضد هانيبال فى عام ٢١٨ ق.م تلقب بالأفريقى بعد نجاحه فى هزيمة قرطاج فى زاما ٢٠٢ ق.م وفرض شروط الصلح على البطل الأسطورى هانيبال للمزيد من القراءة .

أحمد صفر ، المرجع السابق ص ص ٢٢٩ — ٢٣٥ .

(٨٧) Thompson, op. cit. pp. 124—125.

(٨٨) Polybius, XI—24.

(٨٩) سيفاكس كان ملكا على نوميديا خلال النصف الأخير من القرن الثالث ق.م وقد تقلب فى تحالفه فتارة مع الرومان ضد قرطاج وتارة أخرى مع الأخيرة ضد الرومان ، والملاحظة الجديرة بالذكر أن منافسة الملك غايا ومن بعده مسينسا كانا دائما مع الطرف المعادى لسيفاكس . وأثناء المعركة الأخيرة فى الحرب البونية الثانية كان سيفاكس يقف إلى جانب قرطاج . وقد سقط سيفاكس أسيرا فى يد مسينسا فى عام ٢٠٣

(٩٠) عاد هانيبال إلى بلاده فى ٢٠٣ ق.م حيث منحه مجلس الشيوخ القرطاجى لقب قائد دكتاتور . وقد حدد هانيبال أهدافه حسب الترتيب الآتى — الحصول على امدادات من الأمراء الوطنيين أمثال مزطول منافس مسينسا وفرمينه بن سيفاكس — ثم محاربة مسينسا لمنعه من الانضمام إلى الرومان — وأخيرا الإيقاع بسكيبيو وجنوده . ولكن لم تأت الرياح بما تشتهى السفن وهزم هانيبال .

أحمد صفر ، المرجع السابق ، ص ص ٢٢٨ — ٢٣٠ .

(٩١) Thompson, op. cit. 128—130.

(٩٢) راجع شروط الصلح الذى عقد فى ٢٠١ ق.م فى :
أحمد صفر ، المرجع السابق ص‌ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

(٩٣) سبقت الاشارة الى وجود هذا المكان فى أسوار قرطاج .

(٩٤) H.H. Scullard, op. cit. Fig. 2—6.
W. Gowers and H.H. scullard, op. cit. p. 167 ff.

(٩٥) P.G. walsh, op. cit. pp. 158—9.

(٩٦) وقد كانت الأفيال الاثنى عشر ضمن مساهمة مسينسا فى تلك الحرب بمليون مكيال من القمح و ١٢٠٠ فارس.
أحمد صفر ، المرجع السابق ص‌ص ٢٧٥

(٩٧) Thompson, op. cit. p. 30.

(٩٨) ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة المرجع السابق ص ١٢٤ .

(٩٩) فوزى مكاوى ، مملكة أكسوم ، المرجع السابق ص‌ص ٢٣٦—٢٤٠ .

(١٠٠) Schoff, periplus of the Erythraean sea (New York, 1912) p. 22 ff.

(١٠١) Nonnosos, In corpus scriptorum Historiae Byzantinae ed. B.G. Niebuhrii, Bonnae. Lo. XVII.

(١٠٢) Malalas, In Corpus scriptorum Historie Byzantinae ed. B.G. Niebuhrii, Bonnae L. XVII.

(١٠٣) Idem

(١٠٤) عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، القاهرة ، د.ت ص‌ص ٦٦ —٦٧ .

(١٠٥) عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ص ٦٩ .

مكتبـــة البحث

أولا : مراجع باللغة العربية :

١ – ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، القاهرة ، ١٩٥٩

٢ – ابراهيم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة ، ج ١ – ط٢ القاهرة ١٩٧٣ .

٣ – احمد صفر ، مدنية المغرب العربى فى التاريخ ، ج ١ تونس د.ت .

٤ – جوليان ، شارل أندرى ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة تونس ١٩٦٩ .

٥ – رشيد الناضورى ، المغرب الكبير ، العصور القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٦ – عبد اللطيف أحمد على ، روما ، القاهرة ، د.ت .

٧ – عبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية . القاهرة، ١٩٦٥ .

٨ – عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، القاهرة ، د.ت .

٩ – فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

١٠ – فوزى مكاوى ، مملكة أكسوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، ٩٧٤ .

١١ – كاستلان ، جورج ، تاريخ الجيوش القديمة ، ترجمة كال دسوق ، القاهرة ، د.ت .

ثانياً : مراجع بلغات أجنبية :

12. Allan, J., *The Cambridge Shorter History of India,* Delhe, 1964.

13. Bevan, E., *Egypt under the Ptolemaic dynasty,* London, 1927 .

14. Cary, M., Polybuis and a literary commonplace, *classical quarterly,* Vol. 46 No. 188. London, 1926.

15. Dio, Cassius, *Ronan History,* Loeb classical liberary, London, 1912.

16. Diodorus,

17. Gowers, W., The African Elephant in warfare, *African Affairs,* London, 1946 .

18. Gowers, W., African Elephants and Ancient authors, *African Affairs,* London, 1948 .

19. Gowers, W., and H.H. Scullard, Hannibal's Elephants again, *Numismatic chronicle* 6th *series,* London, 1950.

20. Hintze, F , *Alte Kulturen in sudan,* Munchen, 1967.

21. Livy, *History of Rome*, loeb classical liberary
London (1919—1957).

22. Ioannis Malalae, chronographia, in corpus scriptorum Historiae Byzantinae, Bonnae,

23. Nonnosos, Ex Historia Nonnosi Excerpta, In Corpus Scriptorum Historae Byzantin-ae Bonnae

24. Polybius, *Histories*, lobe classical liberary, London, 1909.

25. Schoff, *Periplus of the Erythraean seen*, New York, 1912.

26. Scullaid, H.H., Hannibal's Elephants, *Numismatic chronicle*, 6th *series*, London, 1948.

27. Tarn, W., *Hellenistic Naval and Military developments*, London, 1928.

28. Thompson, *The Battle Elephant*, M.A Belfast university, 1969.

29. Walsh, P.G., Massinissa, *Journal of Roman strdies*, London, 1965.

30 Warmington, *Carthage*, London, 1964.